شخصيات المسرحية

أنتون أنتونوفيتش سكفوزنيك دموخانوفسكي، حاكم المدينة.

آنا آندريفنا، زوجته.

ماريو أنتونوفنا، ابنته.

لوكا لوكيتش خلوبوف، ناظر المؤسسات التعليمية.

زوجته

أمّون فيدروفيتش ليابكين - تيابكين، قاضي.

ارتيمي فيليبوفيتش زملانيكا، راعي مؤسسات خيرية.

إيفان كوزميتش شبيكين، مأمور البريد.

بيتر إيفانوفيتش دوبتشينسكي

بيتر إيفانوفيتش دوبتشينسكي مالكا أراضٍ في المدينة.

إيفان الكسندروفيتش خليستاكوف، موظف في بطرسبورغ.

أوسيب، خادمة.

خريستيان إيفانوفيتش غيبنر، طبيب البلدة.

فيدور آندرييفيتش ليوليوكوف

إيفان لازيريفتش راستاكوفسكي موظّفون متقاعدون، شخصيات محترمة في البلدة.

ستيبان إيليتش أوخوفيرتوف، رئيس الشرطة.

سفيستونوف

بوغوفيتسين

درجيموردا

عبدولين تاجر.

فيفرونيا بيتروفنا بوشليبكنا، زوجة سمكري.

زوجة ضابط صف.

ميشكا، خادم حاكم المدينة.

خادم حانة.

ضيوف وضيفات، تجار، أهل البلدة، أصحاب حاجات.

ملاحظات للممثلين – أوصافهم وملابسهم

حاكم المدينة، رجل سلخ شبابه في الوظيفة. بعيد جدّاً عن الغباء، على طريقته الخاصّة. وعلى الرغم من أنّه مرتشٍ إلا أنّه يتصرّف برصانة شديـدة، وعلى قدر كاف من الجدية، بل وميـال إلى المناظرة. يتكلّم غير مرتفع الصوت ولا منخفضه، غير كثير الكلام وغير مُقلّه. ولكلّ كلمة يقولهـا مغزى. تقاطيع وجهه غليظة قاسية مثل أي موظّف بدأ سنـي وظيفته الشاقّة من رتب واطئة، يتحوّل بسرعة كبيرة من الفزع إلى الفرح، ومـن الوضاعة إلى الأنفة، مثلما يحصل لإنسان تطوّرت قابلياته الروحية تطوّراً متعـثراً. يرتدي في العادة، بزّته الرسمية ذات العروات، وجزمة ذات مهمازين، شعره مشذب دبّ فيه الشيب.

آنا أندريفنا، زوجته، امرأة غناجة على الطريقة الإقليمية لم تتوغّل في العمـر كثيراً، تربّت إلى النصف علـى الروايات والألبومات وإلى النصف الآخر على المشاغل في مؤونتها وخادماتها. كثيرة الفضول، تُبدي خيلاء عند سنوح الفرصة. وتظهر سلطتها على زوجها أحياناً، لمجـرد أن هـذا لا يجد ما يـرده عليها ولكن هـذه السلطة لا تتعدى الصغائر وتقتصر على التوبيخ والتهكّم. خلال المسرحية تغيّر ملابسها أربع مرّات.

خليستاكـوف، شابّ في نحو الثالثة والعشرين من العمر، نحيف هزيـل العود، على شيء من البلاهة، وعلـى المثل القائل لا يستجيب لنداء العقل، مـن أولئك الذين يسمّون في الدوائـر بالتافهين. يتكلّم

ويتصـرّف دون أي تفكير. لا يقـدر على تركيز ذهنـه في أية فكرة. كلامه متقطّع والكلمـات تتطاير من بين شفتيه بشكل مفاجئ تماماً. وكلّمـا أظهـر ممثل هذا الدور مزيداً من نقـاوة قلب وبساطة نجح في دوره أكثر. يلبس على المودة.

أوسيـب، خادم مثل أي خادم اعتيادي فارق سنّ الشباب، يتكلّم بجدّية، ويخفض بصره قليلاً، مجادل، ويحب أن يلقى العظات لنفسه عن سيده، وصوته مـوزون دائماً تقريباً، وفي حديثه مع سيّده يتكلّم بصرّامـة واقتضاب بل وبشيء من الغلظـة. وهو أكثر ذكاء من سيّده، وأكـثر حدساً منه لهذا السبـب، ولكنه لا يحب أن يتكلّم كثيراً، فهو محتال صامت، يرتدي بدلة بالية رمادية أو زرقاء.

بوبتشينسكـي ودوبتشينسكـي، كلاهمـا قصـير دحـداح كثير الفضـول، يشبه صاحبـه شبهاً صارخاً، وكلاهمـا ذو كرش صغير، يتكلّم بسرعة فائقـة مستعيناً إلى حدّ بالغ بالإشارات وحركات اليد، ودوبتشينسكي أطـول قليلاً وأكثر جدّية مـن بوبتشينسكي، ولكن بوبتشينسكي أكثر خفّة ونشاطاً من دوبتشينسكي.

ليابكين تيابكين، قاض، رجل قرأ خمسة أو ستّة كتب، ولهذا فهو متحرّر في تفكـيره بعض الشيء. مولّع كبـير في الحدس والتخمين، ولهذا يعطـي وزناً لكلّ كلمة ينطق بها. وعلـى الممثّل الذي يمثّله أن يضفـي على وجهه دائماً سمة الاعتبار، يتكلّم بصوت عالي النبرة مع توقّف طويل وبُحة ونخير، مثل ساعة قديمة تهمس قبل أن تدقّ.

زيملانيكا، راعي مؤسسـات خيرية، بدين جداً، أهوج الحركات ثقيلها، ولكنّه على الرغم مـن كل ذلك خشّاش ماكر، وخدوم جداً ولهوف.

مأمور البريد، بسيط إلى حدّ السذاجة.

وبقية الأدوار لا تحتاج إلى إيضاحـات معينة. والعين دائماً تقريباً تقع على أشخاصها الحقيقيين.

يجب أن يلتفت السادة الممثلون بشكل خاصّ إلى المشهد الأخير. كلمـة الختام يجب أن تحـدث رجّة كهربائية للجميـع دفعة واحدة، وبشـكل فجائي، وجميـع الممثّلين يجب أن يغـيّروا وضعهم بطرفة عين. كما يجب أن تفلت آهة الدهشة من جميع النساء دفعة واحدة، وكأنّها منطلقة من صدر واحد. وعدم التقيّد بهذه الملاحظات يمكن أن يفسد التأثير كلّه.

الفصل الأول

غرفة في بيت حاكم المدينة

المشهد الأول

(حاكـم المدينة، راعـي المؤسسات الخيريـة، ناظر المؤسسـات التعليمية، القاضي، رئيس الشرطة، الطبيب، اثنان من رجال الشرطة).

حاكـم المدينة: دعوتكم، أيّها السادة، لأخبركـم بخبر مزعج جدّاً وهو أن مفتّشاً عامّاً في طريقه إلينا.

أمّوس فيدروفيتش: مفتّش عامّ؟ كيف؟

أرتيمي فيليبوفيتش: مفتّش عامّ؟ كيف؟

حاكـم المدينة: مفتّش عامّ من بطرسبـورغ، متخفٍ و فضلاً عن ذلك بمهمّة سرّية.

أمّوس فيدروفيتش: يا للمفاجأة!

أرتيمي فيليبوفيتش: تأتيك الدواهي وأنت ساهٍ.

لوكا لوكيتش: يا إلهي، وبمهمّة سرّية أيضاً!.

حاكم المدينة: كأنّ قلبي أعلمني. رأيت في الحلم هذه الليلة جرذين غير اعتياديين. الحقيقة أنّنـي لم أرَ مثلهما قطّ. أسودين بحجمين غير طبيعيـين!. جـاءا وتشمّمـا، واختفيا. ها أنـا أقرأ لكـم الرسالة التي تلقّيتها من آندريه إيفانوفيتش تشميخوف الذي تعرفه أنت، يا أرتيمي

فيليبوفيتش: ها هو يكتب: «الصديق الفاضل المحسن، مُعمِّد أبنائي. (يتمتم بصوت خافت ممرّاً عينيه بسرعة)... أعلمك». آها! هكذا: «أسرع لأعلمك، بالمناسبة أنّ موظّفاً وصل بمهمّة تفقّد الولاية كلّها، ولاسيّما قضاءنا (يرفع إصبعه إلى فوق بمغزى). عرفت ذلك من أوثق الناس، على الرغم من أنّه يقدّم نفسه على أنّه لا يمثل أية جهة. ولما كنت أعرف أنك لا تخلو من آثام، كأي شخص آخر، لأنّك رجل نابه، ولا تحبّ أن تفوّت ما يسنح لك...» (يتوقّف) طيّب، لا غريب بيننا... «فإنّني أنصحك بأن تلزم الحذر، فقد يصل إليك من ساعة إلى أخرى، إن لم يكن قد وصل الآن، وسكن متخفياً في مكان ما... يوم أمس كنت....» حسناً، بعد هذه تأتي قضايا عائلية: «جاءت إلينا الأخت آنا كيريلوفنا مع زوجها. إيفان كيريلوفيتش سمن كثيراً، ويعزف على الكمان الوقت بطوله...» إلى غير هذا وذلك. هذا هو الوضع!..

أمّوس فيدروفيتش: نعم، هذا هو الوضع... غير الاعتيادي، غير الاعتيادي تماماً، لابدّ من سبب.

لوكا لوكيتش: ولأي شيء هذا، يا أنتون أنتونوفيتش؟ لماذا يفد علينا مفتّش عام؟

حاكم المدينة: لماذا؟ قدر، كما يبدو! (يزفر).. حتّى هذا الحين، وبفعل الله، كانوا يفدون على مدن أخرى. والآن جاء دور مدينتنا.

أمّوس فيدروفيتش: أظنّ في الأمر سبباً دقيقاً، أميل إلى السياسة، وهو أن روسيا.... أها... تريد القيام بحرب. والحكومة، يا حضرة المحترم، أرسلت مَنْ يمثّلها ليتأكّد فيما إذا كانت هناك خيانة.

حاكم المدينة: أوه، إلى أين رحت! وأنت الرجل الحصيف! خيانة في مدينة من مدن الأقاليم! وهل هي على الحدود؟ إنّك لو عدوت بحصانك من هنا لثلاثة أعوام لما وصلت إلى أية دولة.

أمّوس فيدروفيتش: لا، أريد أن أقول لك أنك لا... الرؤساء يرون الأمور الدقيقة. قد تكون المدينة بعيدة، ولكن لهم تفكيرهم الخاص.

حاكم المدينة: لهم أو ليس لهم، ولكنّني أنبّهكم مقدّماً، أيّها السادة. فالزموا الحذر. ومن جهتي أصدرت بعض الأوامر، ونصيحتي أن تفعلوا ذلك أيضاً. لاسيّما، أنت أرتيمي فيليبوفيتش! ليس من شك في أنّ الموظف القادم سيرغب، قبل كلّ شيء، في تفقّد المستشفيات الخيرية التي ترعاها. ولهذا يجب أن تجعل كلّ شيء فيها لائقاً. الطاقيات نظيفة، والمرضى لا يشبهون الحدّادين، كما هم في العادة، حين يضعون عليهم أي شيء من الثياب، وكأنّهم في بيوتهم.

أرتيمي فيليبوفيتش: لا بأس في هذا. يمكن أن نلبّسهم طاقيات نظيفة حسب ظني.

حاكم المدينة: ويجب أن يكتب المرض فوق كلّ سرير باللاتيني أو أية لغة أخرى. وهذه مهمّتك، يا خريستيان إيفانوفيتش، ومتى مرض المريض به، اليوم والتاريخ... غير لطيف أن يدخّن مرضاك تبغاً قوياً يجلع كلّ من يدخل يعطس حتماً. وحبّذا لو يقلّ عددهم، وإلا فسيعزى ذلك إلى سوء الإدارة أو عدم مهارة الطبيب.

أرتيمي فيليبوفيتش: أوه! بخصوص الطبابة اتّخذت أنا وخريستيان إيفانوفيتش الموقف التالي: كلّما كان الأمر أقرب إلى الطبيعة كان أحسن. نحن لا نستعمل أدوية غالية. الإنسان بنية بسيطة. إذا كان في طريقه إلى الموت مات، وإذا كان في طريقه إلى الشفاء شفي. ثم إن من الصعب على خريستيان إيفانوفيتش التفاهم معهم فهو لا يعرف من الروسية أية كلمة.

(يصدر خريستيان إيفانوفيتش صوتاً يشبه الياء).

حاكم المدينة: وبودي أن أنصحك أنت أيضاً، يا أمّوس فيدروفيتش، بأن تلتفت إلى غرف دائرتك، فإنّ الحرّاس صاروا يربّون البطّ وفراخه في الرواق الذي يوجد المراجعون فيه عادة،

فيلبــط بين أرجلهم. تربية الدواجن تستحقّ كلّ ثناء بالطبع، فلماذا لا يربّيهــا الحرّاس أيضاً؟ ولكــن لا يليق ذلك في مثل هذا المكان... قبل هذا أيضاً كنت أريد أن ألفت انتباهك، ولكن فات من بالي.

أمّوس فيدروفيتش: سآمرهم اليوم بنقله جميعاً إلى المطبخ لذبحه. تفضّل وتغدَّ عندنا إذا شئت.

حاكــم المدينــة: وفضلاً عن ذلك قبيــح أن تُنشر مختلف الخرق في مقــرّ عملك، ويتــدلّى سوط الصيــد من فوق الــدولاب الذي تحفظ فيــه أوراقــك. أنا أعرف أنّــك تهوي الصيد. ولكن مــن الأفضل أن ترفعــه مؤقتاً، وتعلّقه ثانية، حــين يرحل المفتّش العامّ. ثمّ إن موظفك المنتخــب... طبعاً إنّه رجل مطّلع، ولكن له رائحة قوية، وكأنّه خرج لتــوّه من مصنــع تخمير. وهذا شيء غير لطيف أيضــاً. كنت أريد أن أكلّمك عنه منذ زمان، لكن كنت مشغول البال بشيء لا أذكره الآن. هناك وسيلة لعلاج ذلك، إذا كانت هذه رائحته الطبيعية، كما يقول، فمــن الممكن أن يُنصح بأكل البصــل أو الثوم، أو أي شيء آخر. وفي هذه الحال يمكن أن يساعده خريستيان إيفانوفيتش بمختلف العقاقير.

(يصدر خريستيان إيفانوفيتش نفس الصوت السابق).

أمّوس فيدروفيتش: لا، من المستحيل التخلّص من تلك الرائحة. يقــول إن أمّــه صدمته، حــين كان طفلاً، ومنذ ذلــك الحين صارت تخرج منه رائحة الفودكا غير القوية.

حاكم المدينة: هذا مــا أردت أن أنبّهك عليه فقط. أما بخصوص الإجراءات الداخلية، وما يسميه آندريه إيفانوفيتش في رسالته بالآثام، فــلا أريد أن أعلّق عليه. فإن ذلك سيكــون غريباً. إذ لا يوجد إنسان خــال من الآثام. هكذا خلقنا الربّ نفســه. وليس من حقّ أصحاب الأفكار الجديدة أن يعترضوا على ذلك.

أمّوســ فيدروفيتش: ماذا تقصــد بالآثام، يا أنتــون أنتونوفيتش؟ هناك فــرق بين آثام وآثــام. وأنا أقــول بصراحة للجميــع: إنّني آخذ

رشـاوى. ولكن أي نوع من الرشاوى؟ جـراء كلاب الصيد. وهذا شيء مختلف تماماً.

حاكم المدينة: كلّها رشاوى سواء أكانت جراء أو غيرها.

أمّوسـ فيدروفيتش: لا يـا أنتون أنتونوفيتشـ ولكن لو أن لأحد فروة ثمنها خمسمائة روبل، مثلاً، وللزوجة شال...

حاكم المدينة: ولكن ماذا يجدي أن تقتصر في رشاواك على جراء كلاب الصيـد؟ بينما أنت لا تؤمّن بالـربّ، ولا تذهب إلى الكنيسة أبـداً. بينما أنا، علـى الأقلّ، قوي الإيمان، وأذهـب إلى الكنيسة كل يـوم أحد. وأنت... أوه، أعرفك. إذا بدأت بالكلام عن خلق العا لم، وقف شعر الرأس كلّه.

أمّوس فيدروفيتش: ولكن أنا الذي توصّلت إلى ذلك بعقلي.

حاكم المدينـة: حسناً، كثرة العقل، في بعضـ الأحيان، أسوأ من عدمـه. وبالمناسبة أنا لم أذكر محكمة القضاء إلا عرضاً. فمن المستبعد حقـاً أن يطلّ أحد عليها، فهي مـكان آمن والربّ يحرسه بنفسه. أمّا أنت، يالوكا لوكيتش باعتبارك ناظر المؤسّسات التعليمية، فيجب أن تهتم بالمعلّمين بشكل خاصّ. إنّهـم، بالطبع، أناس متعلّمون درسوا في مختلـف دور العلم، ولكن لهـم تصرّفات غريبة جـدّاً لا تنفصل، بالطبع، عن لقبهم العلمي. فأحدهم، مثلاً، وهو ذو الوجه الممتلئ... لا أتذكّـر اسمه، لا يصعد إلى المنصـة إلا وهذه التكشيرة على وجهه (يمثّـل هذه التكشيرة). ثـمّ يأخذ بتمسيد لحيته بيـده من تحت ربطة عنقـه. لا بأس، بالطبع، لو كان يكشّر هـذه التكشيرة لتلامذته، فقد تكـون التكشيرة ضرورية، وأنـا لا أفهم في هذا. ولكنّهـا قبيحة إذا جابه بهـا أحد الزوّار، فاحكموا بأنفسكم. قد يعتبرها السيد المفتّش العامّ أو غيره مساساً به. وسيحصل من ذلك ما لا يعرفه إلا الشيطان.

لوكا لوكيتشـ: ماذا تريد أن أفعل به، حقّاً؟ لقد تكلّمت معه عن ذلـك عدّة مرّات. وقبل أيّام فقط، حـين دخل عميد الأشراف عندنا

إلى الصـف، قلّـب سحنته قلبـة لم أر مثلها قطّ. وقـد فعل ذلك عن طيبـة قلب. ولكنّني حصلت على توبيـخ بدعوى أنه يدخل الأفكار المتحرّرة في عقول النشء.

حاكم المدينة: ثمّ يجب أن ألفت نظرك إلى معلم التاريخ. إنّه عقل نيّر، وذلك واضح، ومعلوماته هائلة، ولكنّه يتحمّس حماساً شديداً، حين يشرح، حتّى يخرج عن أطواره، ذات مرّة استمعت إليه، طيّب، حين كان يتكلّم عن الآشوريين والبابليين لا بأس، ولكن عندما وصل إلى اسكندر المقدوني، لا أقدر أن أصف لكم ماذا حصل له. ظننت أن حريقاً قد شبّ، وحقّ الربّ! نزل راكضاً من المنصّة، وخبط الكرسي بالأرض بكلّ قوّته.

اسكنـدر المقـدوني بطـل، بالطبـع، ولكن لمـاذا يكسّـر معلّمك الكرسي؟ في ذلك خسارة للدولة.

لـوكا لوكيتش: نعـم، إنّه حادّ المزاج! وقد نبّهتـه على ذلك عدّة مـرّات... ولكنه يقول: «كمـا تشاء، ولكنّني لـن أبخل بحياتي في سبيل العلم».

حاكـم المدينة: نعم، هذه سُنّة القدر التي لا تخضع لتفسير: العالِم إمّا أن يكون سكّيراً، وإمّا أن يقلّب سحنته كالشيطان.

لوكا لوكيتش: عسـى الله أن لا يجعل الإنسان يخدم في مؤسسة تعليمية. فهو يخاف من كلّ شيء، لأن أي إنسان يدس أنفه أو يحبّ أن يظهر أنّه هو أيضاً عالم.

حاكـم المدينـة: هـذا لا شيء. والمصيبـة هو ذلك الـذي يتخفى عنّـا. وسيطلّ فجأة ويقول: «آها، أنتم هنـا، يالطاف! ومن القاضي بينكـم؟» «إنه ليابكـين تيابكين» «هاتوا لي ليابيكـين تيابكين! ومن راعي المؤسّسـات الخيرية؟» «زيملانيكا» «هاتوا لي زيملانيكا!» تلك هي البلية.

المشهد الثاني

(نفس الأشخاص مع مأمور البريد).

مأمور البريد: أوضحوا لي، يا سادة، أي موظف قادم؟

حاكم المدينة: ألم تسمع حقاً؟

مدير البريد. سمعت من بيتر إيفانوفيتش بوبتشينسكي: كان عندي في دائرة البريد قبل لحظات.

حاكم المدينة: طيّب. ما رأيك في هذا؟

مأمور البريد: ما رأيي؟ ستقع حرب مع الأتراك.

أمّوس فيدروفيتش: بالضبط! مثلما فكّرت أنا.

حاكم المدينة: ولكن كليكما لم يصب الهدف.

مأمور البريد: حرب مع الأتراك، حقّاً، وكل ذلك من كيد الفرنسيين.

حاكم المدينة: ما شأن الحرب مع الأتراك هنا! نحن الذين سنتضرر، لا الأتراك، وهذا معروف من الرسالة التي تلقيتها.

مأمور البريد: إذا كان كذلك فلن تقع حرب مع الأتراك.

حاكم المدينة: ماذا ترى في هذا، يا إيفان كوزميتش؟

مأمور البريد: وماذا أنا؟ ولكن كيف ترى أنت، يا أنتون أنتونوفيتش؟

حاكم المدينة: وماذا أنا أيضاً؟ لا أشعر بخوف، ولكن... التجار والأهالي يقلقونني... يقولون إنني ضايقتهم، ولكن والله إن كنت

قـد أخذت رشوى من أحدهـم، فبدون أية ضغينة حقّـاً. حتّى أنّني أفكّر (يتأبـط ذراعه، وينتحي به جانباً).. حتّى أنّنـي أفكّر بأن أحداً مـن الناس ربّما قـد وشّى بي وإلا فلمـاذا يقصدنا مفتش عام حقاً؟ أسمـع، يا إيفان كوزميتش، هل من الممكن، لمصلحتنـا عموماً، أن تفضّ ختم الرسالـة القادمة إليك في دائرة البريد الواردة والصادرة؟ تفضّها قليلاً، وتقرأها، فلعلّ فيها وشاية أو مجرّد إخبارية. وإذا لم تجد شيئاً يمكن أن تختمها من جديد، بل يمكنك أن تسلّمها كما هي، غير مختومة.

مأمـور البريد: أعـرف، أعرف.... لا تعلمني بذلـك. فأنا أفعله لا مـن جانب الاحتراس، بل من جانـب الفضول أكـثر. فأنا مغرم حتّـى الموت بمعرفـة ما هو جديد في الدنيا. وأؤكـد لك أن مثل هذه القـراءة غايـة في المتعـة. بعض الرسائـل تقرأها بتلـذّذ، لأنّها تصف مختلـف الوقائع... فيهـا موعظة وحكمـة... أحسن مـن «الوقائع الموسكوفية»(١)

حاكـم المدينـة: طيـب، ألم تقـرأ شيئـاً عـن موظـف قـادم من بطرسبورغ؟

مأمـور البريد: لا، لا شـيء عن هذا ولكـن أحاديث كثيرة تدور حول موظفـين من كوستروما وساراتوف. علـى كل حال، خسارة أنّـك لا تقرأ رسائل. فيها مواضـع رائعة، أحد الضباط، مثلاً، يكتب لصديقـه، ويصف حفلة راقصة في منتهى الفرفشة... لطيف، لطيف جدّاً. فهو يقول: «الحياة، يا صديقي العزيز، تجري في نعيم. الأوانس

---

(١) جريدة كانت تصدرها جامعة موسكو منذ عام ١٧٦٦. وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كفت الجامعة عن إصدارها، وصارت رجعية تصدرها الحكومة. المعرب.

كثيرات، والموسيقى تصــدح، والرايات ترفرف» وصف في منتهى، منتهى العاطفة، أبقيت الرسالة عندي عمداً، هل تريد أن أقرأها؟

حاكــم المدينــة: ليســ وقتهــا الآن، إذاً، اعمل معروفاً، يــا إيفان كوزميتش، إذا وقعت في يديك شكــوى أو وشاية، احفظها عندك، دون أي تردد.

مأمور البريد: بكل سرور.

أمّوس فيدروفيتش: انتبه، فقد تتاذى من وراء ذلك.

مأمور البريد: آه، يا أولياء!

حاكــم المدينــة: لا بأس، لا بأســ، شيء آخر لــو شهَّرت بذلك. ولكنّها قضية عائلية.

أمّوســ فيدروفيتش: نعم، وقع مــا لا تحمّد عقباه! بنما جئتك، يا أنتون أنتونوفيتش، إذا أردت الصراحة لأهديك كلبة صيد، هي شقيقة الكلب الذي تعرفه. لعلك سمعت بأن تشيبتوفيتش وفارخوفينسكي أقــام دعوى علــى الآخر، وأنــا الآن في ترف، أصطــاد الأرانب في أراضي هذا وذاك.

حاكــم المدينة: آه، يا أوليــاء، لا تهمني الآن أرانبك. فأنا أفكّر في ذلك المتخفّي اللعين الذي قد يطل علينا من لحظة إلى أخرى...

المشهد الثالث

(نفس الأشخاص مع بوبتشينسكي ودوبتشينسكي اللذين يدخلان لاهثين).

بوبتشينسكي: حدث خارق!

دوبتشينسكي: نبأ غير متوقّع!

الجميع: ما هو؟

دوبتشينسكي: أمر لا على البال ولا على الخاطر. بينما كنا داخلين إلى الفندق...

بوبتشينسكي: (يقاطعه) بينما كنت وبيتر إيفانوفيتش داخلين إلى الفندق....

دوبتشينسكي: (يقاطعه) اسمح لي، يا بيتر إيفانوفيتش. أنا الذي سيتحدّث.

بوبتشينسكي: لا، لا، اسمح لي، اسمح لي، اسمح لي... ليست لديك أية طريقة في الحديث...

دوبتشينسكي: بينما أنت ستتعثّر في الكلام، ولا تتذكّر كلّ شيء. ولا تتذكّر كلّ شيء.

بوبتشينسكي: أتذكّر، والله، أتذكّر. فلا تعقني، ودعني أحكي، لا تعقني! اعملوا معروفاً، يا سادة، وقولوا لبيتر إيفانوفيتش أن لا يعقني.

حاكم المدينة: ولكن تكلّم، بحقّ الربّ. ماذا عندكما؟ قلبي

خـرج من موضعه. اجلسوا، يا سادة، خذوا مقاعدكم. هاك مقعداً، يا بيتر إيفانوفيتش.

(الجميع يجلسون حول هذين البيترين إيفانوفيتشين كليهما).

الجميع: طيب ، ما هو؟

بوبتشينسكي: اسمح لي، اسمح لي، اسمح لي سأحكي بالترتيب. ما إن تهيّـأ لي الخروج منك بعد أن تفضّلـت وأبديت انزعاجك من الرسالـة التـي تسلّمتها، أي نعم، حتّى أسرعـت... أوه، أرجوك، لا تقاطعني، يـا بيتر إيفانوفيتش! أنا أعرف، أعـرف كلّ شيء... حتّى أسرعـت إلى كوروبكـين. فلم أجد كوروبكـين في البيت، فعرجت علـى راستاكوفسكي، فلم أجد راستاكوفسكـي، فذهبت إلى إيفان كوزميتشـ لأبلغـه بالخبر الـذي وصلك، وحين خرجـت من هناك التقيت بـبيتر إيفانوفيتش......

دوبتشينسكي: (يقاطعه) قرب الكشك الذي تباع فيه الفطائر.

بوبتشينسكـي: قـرب الكشك الـذي تباع فيـه الفطائر. وحين التقيـت ببيتر إيفانوفيتش قلت لهك «هل سمعـت بالخبر الذي تلقّاه أنتـون أنتونوفيتش من رسالة موثوقة؟» كان بيتر إيفانوفيتش قد سمع بالخـبر من قهرمانتـك آفدوتيا التي لا أعرف لمـاذا أُرسلت إلى فيليب أنتونوفيتش بوتشيتشويف.

دوبتشينسكي: (يقاطعه) لجلب دنٍّ للفودكا الفرنسية.

بوبتشينسكي: (يبعد يديه). لجلب دنٍّ للفودكا الفرنسية.

فذهبنا أنا وبيتر إيفانوفيتش إلى بوتشيبشويف.... أرجوك، يا بيتر إيفانوفيتش، لا تقاطعنـي، لا تقاطعني! ذهبنا إلى بوتشيتشويف وفي الطريـق يقول لي بيتر إيفانوفيتش: «لنذهب إلى المطعم... لم أضع في معدتي طعاماً منـذ الصباح... عندي اضطـراب معدوي» آها، عند

بيتر إيفانوفيتش اضطراب معدوي.... ويقول: «والآن جلبوا إلى مطعم الفندق سمك سلمون طازج، وسنأكل منه». وما كدنا نحطّ في غرفة الطعام حتّى نرى شابّاً فجأة...

دوبتشينسكي: (يقاطعه) له مظهر مقبول، ولباس مدني...

بوبتشينسكي: له مظهر مقبول، ولباس مدني، يتمشّى في الغرفة، وعلى وجهه تفكير عميق... سيماء.... ت صرّفات، وهنا (يدير يده قرب جبينه). أهمّ الأهمّ. وكأنني حدست، فأقول لبيتر إيفانوفيتش : «شيء غير اعتيادي هنا». آها. وكان بيتر إيفانوفيتش قد أومأ إلى صاحب الحانة فلاس بأصبعه يدعوه إليه. قبل ثلاثة أسابيع وضعت زوجة فلاس طفلاً حركاً للغاية، سيدير حانة مثل أبيه. دعا بيتر إيفانوفيتش فلاس، واستفسر منه بهدوء: «مَنْ ذلك الشابّ؟» فيرد فلاس: «هذا»... أوه، لا تقاطعني، يا بيتر إيفانوفيتشن أرجوك، لا تقاطعني. ولا تتحدث، بحقّ الربّ، لا تتحدّث. أنت تهسهس. أنا أعرف أن إحدى أسنانك تصدر صفيراً... فيقول فلاس: «هذا الشابّ موظّف قادم من بطرسبورغ يُدعى إيفان الكسندروفيتش خليستاكوف، في طريقه إلى ولاية ساراتوف. يتصرّف بغرابة. نزل في الحانة منذ أكثر من أسبوع، ولا يغادر. يأخذ كلّ شيء على الحساب، ولا يريد أن يدفع فلساً واحداً». وحالما قال لي ذلك، أدركت بوحي سماوي، فأقول لبيتر إيفانوفيتش: «آي»......

دوبتشينسكي: لا، يا بيتر إيفانوفيتش، أنا الذي قلت: «آي!»

بوبتشينسكي: في البداية قلت أنت، وبعد ذلك قلت أنا.

طيب، قلت أنا وبيتر إيفانوفيتش : «آي! ولماذا يظلّ ههنا إذا كان يقصد ولاية ساراتوف؟» نعم، إنّه هو، أقصد ذلك الموظّف.

حاكم المدينة: من هو ذلك الموظّف؟

بوبتشينسكي: الموظّف الذي تلقيت إخبارية عنه. المفتّش العامّ.

حاكم المدينة: (في فزع) الله يحفظنا! ليس هو.

دوبتشينسكـي: هـو! لا يدفع فلوساً، ولا يسافـر. ومَنْ يمكن أن يكون غيره؟ ساراتوف مكتوبة في وثيقة السفر.

بوبتشينسكي: هو، وحقّ الربّ، هو... متفحّص استوعب ببصره كلّ شيء. حين رآنا أنا وبيتر إيفانوفيتش نأكل السلمون، بسبب معدة بيتر إيفانوفيتش على الأكثر... نظر في صحننا أيضاً، فاستولى الذعر عليَّ.

حاكم المدينة: يا إلهي، ارحمنا، نحن الآثمين! أين يعيش هناك؟

دوبتشينسكي: في الحجرة رقم خمسة، تحت السلّم.

بوبتشينسكـي: في نفـس الحجـرة التـي تعـارك فيهـا الضبّاط المسافرون في العام الماضي.

حاكم المدينة: وهل هو هنا منذ زمان؟د

دوبتشينسكـي: منذ أسبوعـين. وصل في عيـد القدّيس فاسيلي المصري.

حاكم المدينة: منذ أسبوعـين! (في ناحية). يا أولياء، يا قدّيسون! أنقـذوني، أيّها الشفيعون! في هذين الأسبوعين جُلِدت زوجة ضابط الصـفّ[1]! و لم توزع الأرزاق على المعتقلـين! وفي الشوارع عربدة ووساخة! عار! مثلبة! (يمسك رأسه)..

ارتيمـي فيليبوفيتش: ما رأيك، يا أنتون أنتونوفيتش ؟ أنذهب إلى الفندق لنقدم أنفسنا رسمياً؟

---

(١) قبل وقت قصير من ظهور «المفتش العام» صدر قانون يحرم العقوبات الجسدية لزوجات ضباط الصف. المعرب.

أمّوس فيدروفيتش: لا، لا! في البداية نرسل عميد الوجهاء... رجال الدين، التجّار: في كتاب «مآثر يوحنّا ماسون»...

حاكم المدينة: لا، لا، اسمحوا لي أن أتصرف. في الماضي حصلت حالات صعبة، وسُوّيت بل وحصلت على شكر. فلعلّ الربّ ينجيني، هذه المرّة أيضاً. (يخاطب بوبتشينسكي).. تقول إنّه شاب!؟

بوبتشينسكي: شابّ في الثالثة والعشرين أو أكثر من الرابعة والعشرين بقليل.

حاكم المدينة: هذا أفضل. الشابّ أكثر انكشافاً، كلّ شيء فيه ظاهر، ولكن المصيبة إذا كانت داهية عجوزاً. تهيّأوا، أيها السادة، كلّ في دائرة عمله، وسأخرج أنا لوحدي، أو مع بيتر إيفانوفيتش بشكل شخصي، للنزهة، والتعرّف عمّا إذا كان المارّون في مدينتنا يلقون بعض المنغّصات. هاي، يا سفيستونوف!

سفيستونوف: ماذا تحبّون؟

حاكم المدينة: استدع رئيس شرطة المدينة. أو، لا، أنت تلزمني، أطلب أن يُستدعى رئيس شرطة المدينة إليّ بأسرع وقت، وتعال.

(الشرطي يركض بعجالة).

أرتيمي فيليبوفيتش: لنذهب، لنذهب، يا أمّوس فيدروفيتش! قد تحصل مصيبة حقاً.

أمّوس فيدروفيتش: ولكنممّ تخاف؟ تلبس مرضاك طاقيات نظيفة، وتغطّي على آثامك.

أرتيمي فيليبوفيتش: ليست مسألة طاقيات! الأوامر تنصّ على تقديم شوربة الشعير للمرضى، بينما رائحة الكرنب عندي تملأ الممرّات كلّها حتى تصدم الأنف.

أمّوس فيدروفيتش: أمّا أنا فمطمئن من هذه الناحية، إذا أردت

الواقــع مَنْ يتذكّر محكمة البلــدة فيطلّ عليها؟ وحتى إذا نظر في ورقة فيهــا، فإنّه لن يرى الفرحة في حياته كلّها. أنا منذ خمسة عشر عاماً، أقعد علــى كرسي القضاء، ولكن ما إن أنظــر في سجّل الوقائع حتى أنفــر منه وأعوفــه. سليمان الحكيم نفسه لا يعــرف الصحيح فيه من الكذب.

(يخرج القاضي، وراعي المؤسســات الخيرية، وناظر المؤسسات التعليمية، ومأمور البريد، فيصطدمون في الباب بالشرطي العائد)

المشهد الرابع

(حاكم المدينة، بوبتشينسكي، دوبتشينسكي، والشرطي).

حاكم المدينة: هل العربة جاهزة؟

الشرطي: جاهزة.

حاكم المدينة: أخرج إلى الشارع... أو، لا، على مهلك... اذهب اجلب... ولكن أين الآخرون؟ هل معقول أنّك وحدك؟ أوعزتُ بأن يكون بروخوروف هنا أيضاً. أين بروخوروف؟

الشرطي: بروخوروف في بيته، ولكنّه لا يستطيع أن يشترك في عمله.

حاكم المدينة: وكيف هذا؟

الشرطي: جلبوه في الصباح كالميّت. صبوا عليه جردلين من الماء، فلم يفق من سكره حتّى الآن.

حاكم المدينة: (يمسك رأسه) أوه، يا ربّي، يا ربّي!

أخرج إلى الشارع على عجل. أو، لا. أركض إلى الحجرة أولاً، سامع! أجلب منها السيف والقبّعة الجديدة، هيا، يا بيتر إيفانوفيتش!

بوبتشينسكي: وأنا أيضاً، وأنا أيضاً... اسمح لي أنا أيضاً، يا أنتون أنتونوفيتش!

حاكم المدينة: لا، لا، يا بيتر إيفانوفيتش، غير ممكن، غير ممكن! هذا إحراج، كما أن ع ربتي الصغير لا تسع.

بوبتشينسكي: لا بأس، لا بأس. سأجري وراءها، لا أحتاج إلا أن

أنظر إليه من خصاص الباب... وأرى تصرّفاته...

حاكـم المدينة: (للشرطي، وهو يتنـاول السيف) اذهب حالاً مع بعضـ المساعدين، وليأخذ كل واحـد منهم.... آه، ما أكثر الخدوش على هـذا السيف! اللعنة علـى التاجر عبدولين. يـرى حاكم المدينة يحمـل سيفاً عتيقـاً، دون أن يرسل لـه آخر جديـداً، آه، محتاولون! أظـن هؤلاء الغشاشـين يهيّئـون الآن الشكاوى خلسـة. ليأخذ كلّ واحد في يـده شارعاً... أوه، اللعنة، أقصـد مكنسة! وليكنسوا كل الشـارع المؤدّي إلى الحانـة، وليكنسوه بشكل جيّـد... تسمع! أمّا أنـت فأحذرك، نعم، أنت، أنت. أنا أعرفك. سترفع الكلفة، وتسرق ملاعق فضية، وتخبئها في عنق حذائك الطويل. احذر، فإنّ لي بصراً حـادّاً! ماذا فعلـت مع التاجـر تشيرنياف؟ ها؟ أعطـاك ذراعين من الجوخ لتفصلهما بزّة لك، بينما لطشت أنت اللفة كلّها، حذار، أنت تأخذ أكثر ممّا يناسب رتبتك. اذهب!.

المشهد الخامس

(نفس الأشخاص مع رئيس شرطة المدينة).

حاكم المدينة: آ.... ياستيبان إيليتش! قل لي بحق الربّ، أين اختفيت؟ ماذا يعني هذا؟

رئيس الشرطة: كنت هنا، وراء البوّابة.

حاكم المدينة: اسمع، يا ستيبان إيليتش! وصل موظّف من بطرسبورغ. فكيف تهيّأت لذلك؟

رئيس الشرطة: مثلما أمرت. أرسلت الشرطي بوغو فيتسين مع المساعدين لتنظيف الرصيف.

حاكم المدينة: وأين ديرجيموردا؟

رئيس الشرطة: خرج على عربة الإطفاء.

حاكم المدينة: وبروخوروف سكران؟

رئيس الشرطة: سكران.

حاكم المدينة: وكيف تساهلت في ذلك.

رئيس الشرطة: لا أدري، والله، يوم أمس حصل عراك خارج المدينة فذهب إلى هناك ليعيد النظام، فعاد سكران.

حاكم المدينة: طيب، اسمع. افعل كالآتي: اجعل الشرطي بوغوفيتسين يقف على الجسر للوجاهة، لأنّه طويل القامة. وأوعز بتفكيك السياج القديم القائم قرب الإسكاف بسرعة، ونصب عمود

مــن القشّ هناك، ليدلّ على مشروع بنــاء، لأنّه كلّما كَثُر الحطام كان أكـثر دلالة على نشاط القائم علـى أمور المدينة. أوه، يا إلهي، نسيت أن بالقرب مــن هذا السياج مختلف القاذورات تكفي لأربعين عربة. أيــة مدينة حقيرة هذه! ما إن تقيم فيها نصباً تذكارياً، أو مجرّد سياج، حتّـى تجد الناس يحملون إلى هنــاك وساخات لا أحد يعرف من أين جــاءوا بها! (يتنهّـد). وإذا سأل الموظّف المستخدمـين عمّا إذا كانوا مرتاحين، فليقولوا: «مرتاحون، يا صاحب النبالة»، وإذا أعلن واحد منهــم عن عدم رضاه فسيجد منّــي، فيما بعد، مالا يحمّد عقباه.... أوه، أوه، أوهــوه! خاطــئ أنا، خاطئ في أشياء كثــيرة. (يتناول علبة القبّعة بدلاً من القبّعة).. لئن نجّانا الربُّ من هذه الغمة بأقرب وقت، فسأوقــد له شمعــة لم يوقد مثلها قطّ. سأفرض علــى كلّ محتال تاجر ثلاثــة بودرات مــن الشمــع. أوه، يا ربّــي، ياربّي! لنذهــب، يا بيتر إيفانوفيتش. (يهمّ بأن يضع العلبة الورقية بدلاً من القبّعة).

رئيس الشرطة: يا أنتون أنتونوفيتش، هذه علبة وليست قبعة.

حاكــم المدينة: (يلقيهــا)، أهــا، علبة، عليهــا اللعنــة! وإذا سأل الموظّــف: لماذا لم تُبن كنيسة المؤسّســة الخيرية، وقد خصّص لها مبلغ مــن المال منذ خمسة أعوام، فــلا تنسوا أن تردوا عليــه بأننا قد بدأنا ببنائهــا، ولكنّهــا احترقــت. وقد قدمت أنــا تقريراً بذلــك، أخشى أن يسهــو أحدكــم فيقول بحماقة أننــا لم نشرع في بنائهــا. ثمّ أخبر ديرجيمــوردا أيضاً بأن لا يستخــدم قبضتيه كثيراً، فهو لحفظ النظام، يترك كدمات تحت عيون الناس المذنبين منهم وغير المذنبين. لنذنب، يــا بيتر إيفانوفيتش! (يخرج ويعود) ثــمّ لا تدع الجنود يخرجون إلى الشارع كالعــراة، فهؤلاء الأرذال من جنود الحاميــة يلبسون السترة الرسمية على القميص، ولا شيء في الأسفل.

(الجميع يخرجون).

المشهد السادس

(آنا آندريفنا. وماريا أنتونوفنا. تدخلان خشبة المسرح راكضتين).

آنـا آندريفنا: أين هم؟ آه، يا إلهـي!... (تفتح الباب).. زوجي! أنتوشا! أنتون! (تسرع في كلامها). العتب عليك، كل شيء بسببك. رحـت تنبشـين: أريد الدبّوس، أريـد المنديل. (تركض إلى النافذة، وتصيح). أنتـون، إلى أيـن، إلى أين؟ يعني، وصـل؟ المفتّش العامّ؟ ذو شاربين! ما شكل شاربيه؟

صوت حاكم المدينة: فيما بعد، فيما بعد، يا سيدتي.

آنا آندريفنـا: فيما بعد؟ نورّتني بـ(فيما بعـد) هذه. لا أريد فيما بعد.... كلمة واحدة فقط: هل هو عقيد؟ ها؟ (باستخفاف). ذهب! سأذكّركَ بهذا! تأخرنا بسببـكِ أنتِ: «ماما، ماما، انتظري، لأدبّس المنديل من الخلف. حالاً» وهذه هي نتيجة حالاً! لم نعرف أي شيء! كلّ ذلـك بسبـب الدلع اللعين. مـا إن سمعت بـأن مأمور البريد في البيت، حتّى وقفتِ أمام المرآة متغنجة تتلوى على هذا الجانب وعلى ذلك الجانب. تتصوّرين أنّه يغازلك. بينما هو يمطّ لك شفتيه سخرية، حالما تستديرين.

ماريـا أنتونوفنا: وما العمل، يا ماما؟. لا يهمّ، سنعرف كل شيء بعد ساعتين.

آنـا آندريفنا: بعد ساعتين! شكراً جزيلاً على هذا الجواب الوافي الشافي! كيف لم تحدسي أن تقولي بعد شهر سنعرف أحسن! (تخرج جسمهـا من النافذة).. يـا آفدوتيا! ها؟ هل سمعـت بوصول أحد؟

لم تسمعــي؟ حمقاء! يبعدك بذراعيه؟ وليكــن، ولكن كان عليك أن تسأليــه. لم تستطيعــي أن تعرفي! رأسك معبّــأ بالتوافه لا تفكّرين إلا بالــزواج. ها؟ خرجوا بسرعة؟ كان عليــك أن تركضي وراء العربة. اذهبــي، اذهبي، الآن! اسمعي: اركضــي واستفسري إلى أين ذهبوا، استفسري جيّداً: مَنْ هو القادم وماهو شكله. هل تسمعين؟ بصّي من ثقب الباب، واعرفي كلّ شيء. ما لون عينيه، سوداوان أم بلون آخر. وعودي حالاً. تسمعــين؟ أسرعي، أسرعي، أسرعــي! (تصيح إلى أن تهبط الستارة فتحجب كلتا المرأتين الواقفتين عند النافذة)..

الفصل الثاني

(غرفة صغيرة في فندق. سرير، منضدة، حقيبة زجاجة فارغة، حذاء طويل العنق. فرشاة الثياب، وغير ذلك).

المشهد الأول

(أوسيب منطرح على سرير سيده).

اللعنـة! جوعان تمامـاً. وبطني يقرقـر، وكأن فوجـاً كاملاً ينفخ بالأبـواق. لا أظننا سنصل إلى موطننا! مـا العمل إذاً؟ هذا هو الشهر الثـاني منذ أن خرجنا من بطرسبورغ! الحلـو بذّر فلوسه في الطريق، وهو الآن يقعد فارغ الجيب ولا يهتم. بينما كان لديه ما يكفي ويزيد للتنقّل، جنى عليه حبّه للفخفخة في كل مدينة. (يقلّده): «يا أوسيب، اذهـب وابحث لي عـن أحسن غرفـة، واطلب أحسن غـداء. أنا لا أستطيـع أن آكل الطعـام الغثّ وأريد أحسن طعـام». لا يهمّ لو كان موظفـاً معتبراً، بالفعل، ولكنّه من الدرجة الدنيا في الوظيفة! يتعرّف علـى المسافرين، ويلعب القمار معهم، وها هي النتيجة! أوه، ضقت من هذه الحياة! العيش في الريف أحسن، بالتأكيد. صحيح، لا توجد حياة اجتماعية، ولكن الهموم أقلّ. تتزوّج ريفية، وتظلّ طول عمرك راقـداً على جنبك، بل وتأكل فطائر عـلاوة على ذلك. طبعاً، الحياة في بطرسبـورغ هي المثلـى، إذا أردت الحقيقة. ولا أحد يناقشك في ذلك. فقط أن تكون لديك فلوس، حياة رقيقة مهذّبة. وطوال الوقت

تسمـع كلاماً في غاية الرقـة، لا أحسن منه غـير كلام النبلاء. فأنت تذهـب إلى سوق شوكـين، فتسمع التجار يصيحـون: «يا محترم!». وعندمـا تعبر النهر تجلسـ مع الموظّفين في قـارب واحد. وإذا كنت تحـبّ العشرة دخلت حانة، واستمعت إلى جنـدي عجوز يقصّ لك عن المعسكر، ويفسر لك ما تعني كل نجمة في السماء، فترى كل شيء وكأنـه في راحة يدك. وتصادف عجوزاً، هي زوجة ضابط، تتبختر، ووصيفة في بيت نبيل تمر بك أحياناً... آه، ما أحلاها! (يكشّر، ويهزّ رأسه).. أدب.... يا ويلـي، ولطافة! لن تسمع أية كلمة غير مهذّبة. والجميـع يخاطبونك بـ «يا محترم». وحين تضجر من التمشّي توقف عربة، وتجلس فيها كالسيد المعتبر، وإذا لم ترد أن تدفع أجرة الحوذي استطعـت أن تزوغ. فلكلّ بيت منفذ مـن الجهة الأخرى، وتقدر أن تنسـلّ منـه ولا يستطيع أي عفريت أن يمسـكك. شيء واحد مزعج هـو أنّك تأكل أحياناً حتـى الشبع، وتجوع أحيانـاً حتّى تكاد تموت من الجوع، كما هي حـالي الآن. وكلّ ذلك بسببه. فماذا أفعل معه؟ حـين يرسل له أبوه نقوداً لن يحتفظ بها، ويبدّدها شرّ تبديد! ويركب عربـات الأجرة، وأذهب كل يوم لأشتري لـه تذاكر للمسرح. وبعد أسبـوع تكون الفلوس قد طـارت. فيرسلني إلى السوق لأبيع له بدلة الفـراك الجديدة. وأحيانـاً يبيع كلّ ما لديه ولا يبقـى معه غير السترة الرسميـة والمعطـف... هذا صحيح، وحقّ الـربّ، صحيح! الجوخ معتبر، إنكليزي، الفراك وحده يكلفه مئة وخمسين روبلاً. فيبيعه في السوق بعشرين. أما البناطيل فلا حاجة حتّى لذكرها. يبيعها بقروش زهيـدة. و لم كل ذلك؟ لأنـه لا يزاول عملاً. وبدلاً من أن يذهب إلى وظيفته، يتنزّه في الشـارع العام، ويلعب الورق. آه، لو عرف السيد العجـوز هذا! لن ينظر إلى كونه موظفاً، ويرفع قميصه ويجلده جلداً يظـلّ بعده ثلاثة أيّام يحـكّ جلده. إذا كنت في وظيفـة فداوم فيها.

صاحـب الفندق الآن قال: لن أقدّم لك ما تأكله حتّى تدفع الحساب السابق، طيـب، وإذا لم ندفع؟ (يتحسّر.). آه، يا إلهي، على الأقلّ لو كانت عندنـا شوربة كرنب بسيطة! يبـدو لي الآن أنّني ألتهم العالـم كلّه. أسمع طرقاً. نعم، ها هو قادم. (يسرع بالنزول من السرير).

المشهد الثاني

(أوسيب وخليستاكوف)

خليستاكوف: هاك، خذ، (يقدّم له القبّعة والعصا).. آه، مرّة أخرى انطرحت على السرير؟

أوسيب: و لِمَ أنطرح؟ أتحسبني لم أر سريراً في حياتي؟

خليستاكوف: تكذب. كنت منطرحاً عليه. انظر كيف هو مدعوك!

أوسيب: ولكن أي غرض لي به؟ كأنّني لا أعرف ما هو السرير. عندي رجلان، واقدر أن أقف. فما حاجتي إلى سريرك؟

خليستاكوف: (يذرع الحجرة). أنظر في الكيس، ربّما يوجد تبغ؟

أوسيب: ومن أين يأتي هذا التبغ؟ أنت دخّنت آخر ما تبقّى منه قبل أربعة أيام.

خليستاكوف: (يتمشّى ويضمّ شفتيه بأوضاع مختلفة. وأخيراً يقول بصوت عال حازم). اسمع، يا أوسيب.!

أوسيب: بماذا تتكرّم؟

خليستاكوف: (بصوت عال، ولكن بلا حزم كبير). اذهب إلى هناك.

أوسيب: إلى أين؟

خليستاكوف: (بصوت خال من الحزم تماماً، وليس عالياً،

وقريب جدّاً من الرجاء). إلى المشرب، في الأسفل... وأبلغهم... أن يقدّموا لي ما أتغدى به.

أوسيب: لا ، لا أحب حتى أن أتحرّك.

خليستاكوف: كيف تجسر، يا أحمق؟

أوسيب: ولكن، بلا جدوى، حتّى لو ذهبت لن نحصل على شيء... صاحب الفندق قال: لن أقدم أي طعام بعد الآن.

خليستاكوف: وكيف يجسر على ذلك؟ أي سخف هذا!

أوسيب: ويقول أيضاً: وسأذهب إلى حاكم المدينة: سيدك لا يدفع فلوساً منذ أسبوعين. ويقول: أنت وسيّدك محتالان. وسيّدك نصّاب. ويقول نحن نعرف الطفيليين والأوغاد من أمثالكم.

خليستاكوف: وفرحان، أيّها البهيمة، لتعيد لي كلّ ذلك الآن.

أوسيب يقول: «على هذا النحو يأتي مَنْ هبَّ ودبَّ، وينزل عندنا، ويغرق بالديون، فلا نستطيع أن نطرده بعد هذا. لن أتساهل، وسأرفع دعوى في الحال، لتساقوا إلى مركز الشرطة، وبعد ذلك إلى السجن».

خليستاكوف: كفى، كفى، يا أحمق! اذهب، واطلب منه. يا لك من حيوان فظ!..

أوسيب: الأحسن أن أستدعي صاحب الفندق إلى حجرتك.

خليستاكوف: ولماذا تستدعيه؟ اذهب أنت، واطلب منه.

أوسيب: ولكن، يا حضرة...

خليستاكوف: اذهب، عليك اللعنة! واستدع صاحب الفندق.

(أوسيب يخرج).

المشهد الثالث

(خليستاكوف وحده).

كـم أنا جائع! تمشّيـت قليلاً، وتصوّرت أن شهيتـي ستنسدّ. لا، عليهـا اللعنة، لا تنسـدّ. آه، لو كنت لم أمرح وأعبـث في بينزا، إذاً، لبقـي عندي من الفلوس ما يكفيني للوصـول إلى البيت. رائد المشاة خدعني خدعة محترمة. المحتال ينازل في الورق بشكل مذهل. جلس ربـع ساعة لا أكـثر، ولفلف كلّ شيء. ومع ذلـك أودّ كثيراً لو أنازله مرّة أخـرى. ولكن الفرصة لم تسنح. أية بلدة حقيرة تلك! حوانيتها لا تبيـع بالديـن. هـذه وضاعة، تمامـاً، (يصفر في البدايـة لحن أوبرا «روبـرت العفريت»، ثمّ أغنية شعبية روسية، وبعد ذلك ما يأتي على باله). لا أحد يريد أن يأتي.

المشهد الرابع

(**خليستاكوف، أوسيب وخادم المطعم**).

الخادم: طلب سيدي أن أسألك ماذا تحبّ؟

خليستاكوف: مرحباً، يا أخ، طيّب، كيف صحتك؟

الخادم: الحمد للّه.

خليستاكوف: وكيف الأمور في فندقكم؟ كل شيء على ما يرام؟

الخادم: نعم، والحمد لله، كلّ شيء جيّد.

خليستاكوف: النزلاء كثيرون؟

الخادم: نعم، بما فيه الكفاية.

خليستاكوف: اسمع، أيّها الفاضل، لحدّ الآن لم يجلبوا لي الغداء، فاذهب، أرجوك، وعجّل به، فإنّ لي شغلاً يجب أن أنجزه الآن، بعد الغداء.

الخادم: ولكن سيّدي قال إنه لن يقدم له شيئاً بعد الآن. أظنه كان يريد أن يذهب اليوم إلى حاكم المدينة ليقدّم شكوى.

خليستاكوف: ولِمَ الشكوى؟ أحكم بنفسك، أيّها الفاضل، كيف هذا؟ أنا أحتاجَ إلى غداء. وإلا يمكن أن أنحف كلياً. أنا جائع جدّاً.

الخادم: ولكنّه يقول: «لن أقدّم له طعاماً حتّى يدفع لي الحساب السابق». هذا كان جوابه.

خليستاكوف: ولكن إقنعه، جادله.

الخادم: ماذا أقول له؟

خليستاكوف: أفهمه بجدّ أنّني بحاجة إلى طعام. الفلوس شيء آخر منفصل... يتصور أن الآخرين يتحمّلون إذا كان هو، البهيمة يتحمّل الانقطاع عن الطعام يوماً. عجيبة!

الخادم: يمكن أن أقول له.

المشهد الخامس

(خليستاكوف وحده)

حقــارة، حقــاً، إذا كان لا يقدّم لي شيئاً آكله. أنــا جائع جوعاً لم أجابــه بمثله قطّ. هل أتخلّى عن واحد مــن ثيابي؟ أبيع البنطلون؟ لا، الأحســن أن أجوع قليلاً، وأعود إلى بيتــي في البدلة البطرسبورغية. خسارة أنّ أيوخيم لم يؤجرني عربة من عرباته، إذاً، لكان لطيفاً، وحقّ الشيطان، أن أصل إلى بيتي في عربة، وأن أسرح بها حتّى أوقفها عند بوّابــة بيت من بيوت الجيران من أصحاب الأطيان وللعربة مصابيح، وأوسيب واقف في ظهر العربة في بزّة الخدم المرافقين. أتصوّر الجميع سيتهامســون: «من هذا، ماذا حــدث؟» ويدخل الخادم (يرفع هامته ممثلاً الخــادم): «إيفان الكسندروفيتش خليستاكوف من بطرسبورغ يستــأذن بالمثول.» وهؤلاء، الأجــلاف، لا يعرفون ما تعني «يستأذن بالمثول.». فــإنّ أي صاحب أطيان أرعــن يزورهم يدخل عليهم بلا استئــذان. وربّمــا أتقدّم من فتاة حلــوة، وأقول: «يــا آنستي أنا....» (يفــرك يديه، ويشحط بقدمه).. تفو! (يبصق) عندي رغبة في القيء من شدّة الجوع.

المشهد السادس

(خليستاكوف، أوسيب والخادم فيما بعد).

خليستاكوف: ماذا؟

أوسيب: الغداء قادم.

خليستاكوف: (يصفق، ويقفز من على الكرسي بخفّة) قادمَ! قادمَ! قادمَ!

الخادم (يحمل صحوناً وفوطة): سيّدي يقدّم الغداء لآخر مرّة.

خليستاكوف: أوه، سيّدك، سيّدك... بصقة على سيّدك! ماذا جلبت؟

الخادم: حساء وصحناً من اللحم المقلي.

خليستاكوف: صحنان فقط؟

الخادم: فقط.

خليستاكوف: سخافة! أنا لا أقبل بذلك. قل لي ما يعني هذا في الحقيقة! ... هذا قليل.

الخادم: لا، بل يقول سيّدي "وهذا كثير عليه".

خليستاكوف: ولماذا لم تجلب صلصة؟

الخادم: لا توجد صلصة.

خليستاكوف: ولماذا لا توجد؟ رأيت بنفسي، حين مررت بالمطبخ، إن الطبيخ وافر هناك، في صباح اليوم رأيت في المطعم رجلين دحداحين يأكلان السلمون وكثيراً من الأشياء الأخرى.

الخادم: موجود، على ما أعتقد. ولكن غير موجود أيضاً.

خليستاكوف: كيف غير موجود؟

الخادم: غير موجود الآن.

خليستاكوف: السلمون، السمك والكفتة؟

الخادم: هذه للذين أكثر اعتباراً.

خليستاكوف: آه، يا أحمق! أنت خنزير قذر... كيف يأكلان، ولا آكل أنا؟ لماذا لا أقدر أنا، عليك اللعنة؟ أليسا مسافرين مثلي؟

الخادم: ليسا، بالطبع.

خليستاكوف: مَنْ هما؟

الخادم: اعتياديان، يدفعان نقوداً، بالطبع.

خليستاكوف: لا أريد أن أجادل معك، أيها الأحمق. (يصب الحساء ويأكل)... أي نوع من الحساء هذا؟ مجرد ماء صببته في سلطانية. لا طعم له على الإطلاق. مجرّد رائحة عفنة. لا أريد هذا الحساء، أعطني غيره.

الخادم: يمكن أن نعيده. سيّدي قال إذا كنت لا تريده، فلا بأس.

خليستاكوف (يحمي الطعام بيده): كفى، كفى... اتركه، أحمق... أنت تعودت أن تعامل الآخرين بهذا الشكل. ولكني لست من صنفهم، يا أخ! لا أنصحك أن تفعل ذلك معي... (يأكل). يا ربي، أي حساء هذا (يستمر في الأكل)... لا أظنّ هناك شخصاً في الدنيا أكل مثل هذا الحساء قبلي. بدلاً من الدسم يعوم فيه ريش. (يقطع الدجاجة). ياه، ياه، ياه، أية دجاجة هذه! هات اللحمة المقلية. لم يبق كثيراً من الحساء، خذه لك، يا أوسيب (يقطع اللحمة المقلية).. أية لحمة هذه؟ هذه ليست لحمة مقلية.

الخادم: وما هي، إذاً؟

خليستاكـوف: كل شيء إلا اللحمة المقليـة. فاس مقلية بدلاً من لحم البقر. (يأكل). بهذا يطعـم الناس هؤلاء الغشاشون، المحتالون! إذا أكلـت قطعـة من هذه تـأذى فكّاك. (ينقـب أسنانـه بإصبعه).. أوغـاد! كقشرة الخشـب تماماً، لا يمكن أن تخرجهـا بشيء. ستسوَدّ الأسنان بعد هذا الطبـق. غشاشون! (يمسح فيه بالفوطة).. لا يوجد شيء آخر؟

الخادم: لا.

خليستاكوف: محتالون، أوغاد! على الأقل لو كان هناك شيء من الصلصة، أو الكعك. طفيليون! لا همّ لهم غير ابتزاز المسافرين.

(الخادم ينظف المائدة، ويحمل الصحون مع أوسيب).

المشهد السابع

(خليستاكوف وأوسيب فيما بعد).

خليستاكـوف: كأنّني لم آكل بالفعل، دغدغة شهية فقط. لو كان لديَّ فراطة نقود، لأرسلت لشراء رغيف خبز من السوق، على الأقل.

أوسيـب (يدخـل): وصـل حاكم المدينـة لا أعرف لمـاذا، وهو يستفهم ويستفسر عنك.

خليستاكـوف (مذعـوراً): هذه هي المفاجـأة! يعني أن صاحب الفنـدق الرذيل أبلـغ السلطات! ماذا لو ألقـاني في السجن، بالفعل؟ لا بأس لـو كان بطريقة مشرفـة، لا يهـم.... لا... لا، لا أريد! في المدينـة يسرح الضباط والناس، وأنا، كما عن قصد، تباهيت أمامهم، وتغامـزت مع واحدة من بنات التجار... لا، لا أريد. ثم كيف يفعل هـذا؟ كيف يجرؤ حقـاً؟ هل يتصـورني تاجراً أو حرفيـاً؟ (يتشجّع وينتصب).. سأقول له في وجهه: «كيف تجرؤ، كيف....» (مقبض الباب يتحرّك. خليستاكوف يمتقع، وينكمش).

المشهد الثامن

(خليستاكوف، حاكم المدينة، دوبتشينسكي، حاكم المدينة، يدخل، ويتوقف. أحدهما ينظر إلى الآخر في ذعر لبضع دقائق، والعيون جاحظة).

حاكم المدينة: (أسبل ذراعيه على جنبيه، بعد أن تمالك نفسه). تحياتي!

خليستاكوف: (ينحني). احتراماتي!..

حاكم المدينة: اعذروني.

خليستاكوف: لابأس....

حاكم المدينة: واجبي كرئيس هذه المدينة، أن أحرص على أن لا يشعر المسافرون وجميع الأشراف بأية مضايقات...

خليستاكوف: (يتلعثم قليلاً في البداية، ولكنّه في آخر كلامه يتكلّم بصوت عال). وما العمل؟ لست ملوماً... بالشرف سأدفع... سيرسلون لي من القرية.

(بوبتشينسكي يطل من الباب).

اللوم عليه أكثر. يقدّم لي قطعة لحم صلبة، كالخشب. والحساء لا أعرف ماذا يصب فيه. كان عليَّ أن أرميه من الشبّاك. وهو يميتني من الجوع أياماً كاملة... والشاي عنده غريب، فيه رائحة سمك، وليس رائحة شاي.... وما علاقتي أنا... عجيبة!..

حاكم المدينة: (بتهيّب). اعذروني ليس هذا ذنبي، حقّاً، عندي، في السوق، لحم بقر جيد دائماً. يأتي به تجّار من خولموغوري في الشمال. أناس معتبرون، وسلوكهم جيّد. لا أدري من أين يأتي

صاحب الفندق بهذا اللحم. إذا كان لا يروق لكم شيء... يمكن أن أقترح عليكم، إذا سمحتم، أن تنتقلوا معي إلى سَكَن آخر.

خليستاكوف: لا، لا أريد! أنا أعرف ماذا يعني السَكَنْ الآخر، يعني السجن. ثمّ أي حقّ لك في هذا؟ وكيف تجرؤ أنا... أنا أخدم في بطرسبورغ. (يتشجّع). أنا، أنا، أنا...

حاكم المدينة: (جانباً)[1] أوه، يا ربّي، كم هو شديدِ الغضب. عرف كلّ شيء. التجّار الملاعين حكوا له كلّ شيء!

خليستاكوف: (متشجّعاً). لن أذهب، حتّى لو جئت بكلّ مَنْ معك! سأتوجّه إلى الوزير، رأساً! (يضرب المائدة بقبضته).. كيف هذا منك؟ كيف؟

حاكم المدينة: (ينتصب، ويرتجف بدنه كلّه). الرحمة، لا تهلكونا! لي زوجة، وأطفال صغار... لا تجعلوني تعيساً.

خليستاكوف: لا، لا أريد! هذا ما ينقصني! وما دخلي أنا؟ تريدني أن أدخل السجن، لأن لك زوجة وأطفالاً، شيء رائع!

(بوبتشينسكي يطل من الباب، ويختبئ بذعر).

لا، وشكراً جزيلاً، لا أريد.

حاكم المدينة: (مرتجفاً).. من قلّة الخبرة، والله العظيم، من قلّة الخبرة. قلّة المورد... أحكموا بأنفسكم، رجاء. راتب الحكومة لا يكفي حتّى للشاي والسكّر. وإذا كانت هناك رشاوى، فأقل ما تكون: ما يضاف إلى المائدة، أو بعض الثياب. أما بخصوص زوجة

---

(١) مصطلح مسرحي قديم يعني أن الكلمات التي تقال بعد ذلك هي أفكار الشخصية التي تقولها. وكانت تُقال حين يشيح الممثل وجهه عن المتحدث معه، ويتحدّث مع نفسه. المعرب.

ضابـط الصفّ، التـي كانت تزاول المتاجـرة، والتي يزعمـون أنّني جلدتها، فما ذلك إلا افتراء، والله العظيم، افتراء. اختلاق من الأشرار عندي، المستعدين للاعتداء على حياتي.

خليستاكـوف: ولكن ما هذا؟ لا شأن لي بهـؤلاء. (في تفكير). علـى كلّ حـال، لا أدري لمـاذا تتكلّم عـن الأشـرار أو أرملة ضابط صـفّ... زوجة ضابـط الصفّ، شـيء آخر. أمّا أنا فلـن تجرؤ على جلـدي. هيهات لك ذلـك!... سأدفع، سأدفع نقـوداً، ولكن ليس عندي الآن. ولهذا تراني قاعداً هنا، لأنني لا أملك كوبيكاً واحداً.

حاكم المدينة: (جانباً). أوه، الداهية! إلى أين غرّب! ليموه علينا! وتعـال افهم! لا تعرف من أي جانب تأتيه. ولكن. سأحاول وليكن مـا يكون. سأحـاول فلعلّ وعسـى. (بصوت مسمـوع). إذا كنتم بحاجـة إلى فلوس، بالفعل، أو إلى أي شيء آخر، فأنا مستعدّ في هذه اللحظة. من واجبي أن أساعد المسافرين.

خليستاكوف: هات، أقرضني! وسأصفي فوراً حساب صاحب الفندق. لا أحتاج إلا لمائتي روبل، أو حتّى أقل.

حاكـم المدينة: (يقدّم النقـود الورقية). مئتا روبـل بالضبط، ولا تتعبوا أنفسكم في عدها.

خليستاكـوف: (يتسلّم النقـود) شكراً جزيـلاً. سأبعثها لك من القرية على الفـور... تعرضت فجـأة... أرى أنّك رجل نبيل، الآن شيء آخر.

حاكم المدينة: (جانباً). حمداً لله أنّه قَبِلَ الفلوس. يبدو أنّ القضية الآن ستسير بيسر. على كلّ حال دسست له أربعمئة بدلاً من مئتين.

خليستاكوف: يا أوسيب؟

(أوسيب يدخل).

استدع خادم المطعم! (لحاكم المدينة ولدوبتشينسكي).. ولماذا تقفان؟ تكرّما بالجلوس. (لدوبتشينسكي). اجلس، أرجوك.

حاكم المدينة: لا بأس، سنقف.

خليستاكوف: تكرّم بالجلوس، أرى الآن تماماً صراحة خلقك وشهامتك، بينما كنت أظنّ، وأقولها بصراحة، أنّك جئت لكي... (لدوبتشينسكي) اجلس!

(حاكم المدينة ودوبتشينسكي يجلسان. بوبتشينسكي يطل من الباب، ويتسمع).

حاكم المدينة: (جانباً). يجب أن أتصرّف أجرأ. يريد أن يُعتبر متخفياً. طيب، لنلجأ نحن إلى الحيلة أيضاً، ونتظاهر بأنّنا لا نعرف هويته كلّياً. (بصوت مسموع). كنّا نتفقّد شؤون عملنا، أنا وبيتر إيفانوفيتش دوبتشينسكي، وهو صاحب أطيان من مدينتنا، فعرّجنا إلى الفندق عن قصد لنعرف ما إذا كانوا يحسنون معاملة المسافرين، ذلك لأنّني لست من أولئك الحكام الذين لا يهمّهم أي شيء. فأنا، إلى جانب ما تمليه عليّ وظيفتي، وأودّ بما لديّ من محبّة مسيحية للناس أن يُستقبل كلّ فانٍ استقبالاً جيّداً. فأجد المصادفة قد أتاحت لي هذا التعرف الجميل، وكأنما لتكافئني على مسلكي.

خليستاكوف: وأنا أيضاً مسرور للغاية. وأقولها بصراحة لولاك لبقيت حبيس الفندق زمناً طويلاً. إذ لم أكن أعرف مطلقاً كيف أغطي الحساب.

حاكم المدينة: (جانباً). ياله من كذاب! يزعم أنه لم يكن يعرف كيف يغطي الحسابَ! (بصوت مسموع).. هل أجسر أن أسأل إلى أين وإلى أي الأماكن تتكرّمون بالسفر؟

خليستاكوف: أنا في طريقي إلى ولاية ساراتوف، إلى قريتي.

حاكم المدينة: (في ناحية، وقد اكتسى وجهه سيماء السخرية). إلى ولاية ساراتوف! ها؟ ولا يحمر خجلاً! آوه، يجب أن ترهف أذنيك معه! (بصوت مسموع).. نِعْمَ ما تقوم به. ولكن إذا تحدّثنا عن السفر فهو من ناحية، وكما تقول الناس، لا يخلو من متاعب من جراء التأخير في تقديم الخيول للمسافرين، ولكنّه من الناحية الأخرى ينشّط الذهن. أظنكم تسافرون للاستمتاع في الأكثر، أليس كذلك؟..

خليستاكوف: لا، بل بناء على طلب والدي. العجوز غاضب لأنّني حتّى الآن لم أترق في وظيفتي في بطرسبورغ. فهو يظنّ أنّ المرء حالما يصل إلى هناك يعلّقون على صدره نيشان القديس فلاديمير. لا، بودّي لو أبعثه ليعمل هو نفسه في قلم الأوراق.

حاكم المدينة: (جانباً). انظروا، أي أكاذيب يلفق! أشرك أباه العجوز أيضاً! (بصوت مسموع).. وهل ستمكثون مدة طويلة؟

خليستاكوف: لا أعرف حقّاً. فأبي عنود وبليد، عجوز نغضة كالشوكة في الحلق. سأقول له بصراحة: لن أستطيع العيش بدون بطرسبورغ، فافعل ما تشاء، لماذا عليَّ أن أتلف حياتي مع الفلاحين؟ لي متطلبات أخرى الآن. روحي متعطّشة للعلم.

حاكم المدينة: (جانباً)..بمهارة ينسج! يكذب ويكذب، ولا ينقطع منه خيط الكذب! في مظهره غير جذاب، قميء ويمكن أن تقصعه بأظفرك، على ما يتهيأ لك. طيب، على مهلك، سأجعلك تتكلّم! وتقول ما تخفي. (بصوت مسموع) أنتم على حقّ. فماذا يمكن أن يفعل الإنسان في قرية نائية؟ هنا، أيضاً لا أنام الليل، وأسعى في سبيل الوطن، ولا أبخل بأي شيء، ولو كنت لا أعرف متى أكافأ على عملي. (يجيل بصره في الحجرة).. أظنّ هذه الحجرة رطبة قليلاً؟
خليستاكوف: حجرة كريهة، وبقّها لم أر مثله قطّ. يعضك كالكلاب.

حاكم المدينة: تصوّروا! ضيـف مثقّف مثلكم، ويعاني، ومن أي شـيء؟ من بق حقـير لا يستحقّ حتّـى أن يولد في هـذه الدنيا. هذه الحجرة تبدو مظلمة أيضاً؟

خليستاكـوف: نعم، مظلمـة تماماً، صاحب الفنـدق تعود على الامتنـاع عـن تزويدها بالشمـوع. أحياناً أرغـب في أن أفعل شيئاً، أقـرأ، أو يسرح بيتر إيفانوفيتش الخيال فأؤلـف شيئاً، ولكن لا أقدر. ظلام، ظلام.

حاكم المدينة: هل أجرؤ أن أسألكم... ولكن لا، لستُ أهلاً.

خليستاكوف: ولكن ماذا؟

حاكم المدينة: لا، لستُ أهلاً، لستُ أهلاً!

خليستاكوف: ولكن ماذا؟

حاكـم المدينـة: ستكون جسـارة منـي... في بيتي غرفـة رائعة لـك، منوَّرة، وهادئة... ولكـن لا، أحس أن ذلك شرف لي أكثر من اللازم.... لا تزعلوا، والله، اقترحت ذلك بصفاء قلب.

خليستاكـوف: بالعكس، تفضّل، بكلّ سـرور، السكن في بيت خاصّ أروح لي بكثير من السكن في هذه الحانة.

حاكم المدينـة: سأكون في غاية السرور! ستفـرح زوجتي أيضاً. هـذا هو خلقي حسـن الضيافة منذ الصغر، لاسيّمـا إذا كان الضيف رجـلاً مثقّفـاً. لا تتصوّروا أنّنـي أقول ذلك تملّقـاً. ليست لديّ هذه النقيصة. بل أقول ذلك من كلّ قلبي.

خليستاكـوف: شكراً جزيلاً. وأنا أيضاً لا أحبّ ذوي الوجهين، تعجبني كثيراً صراحتك وشهامتك، وأقول لك بصراحة، أنا لا أطلب غير الوفاء والاحترام، الاحترام والوفاء.

المشهد التاسع

(نفس الأشخاص، وخادم المطعم بصحبة أوسيب. بوبتشينسكي يطلّ من الباب).

الخادم: هل تكرّمت بطلبي؟

خليستاكوف: نعم، هات الحساب.

الخادم: من مدّة قصيرة أعطيتك حساباً آخر.

خليستاكوف: لا أتذكّر حساباتك الحمقاء. قل كم؟

الخادم: في اليوم الأوّل طلبت غداء، وفي اليوم التالي طلبت سلمون فقط، وبعد ذلك صرت تأخذ بالدين، فقط.

خليستاكوف: أحمق! أخذ يحسب الآن، كم مطلوب مني بالمجموع؟

حاكم المدينة: ولكن لا تقلقوا أنفسكم، أرجوكم، سينتظر. (للخادم). أخرج، سيُدفع لك.

خليستاكوف: بالضبط، يمن هذا أيضاً.

(يخبئ الفلوس، يخرج الخادم. يطل بوبتشينسكي من الباب).

المشهد العاشر

(حاكم المدينة، خليستاكوف، دوبتشينسكي)..

حاكم المدينة: لعلكم تحبون أن تشاهدوا بعض المؤسّسات في مدينتنا، الخيرية وغيرها؟..

خليستاكوف: وماذا فيها؟

حاكم المدينة: سترون كيف تجري الأمور عندنا... النظام...

خليستاكوف: بكلّ سرور. (بوبتشينسكي يطل برأسه من الباب).

حاكم المدينة: ومدرسة المدينة، بعد ذلك، إذا كانت لديكم الرغبة، لتروا الطريقة التي تدرس بها العلوم عندنا.

خليستاكوف: تفضّل، تفضّل.

حاكم المدينة: وبعد ذلك، إذا كنتم تحبّون أن تزوروا قلعة المحكومين وسجون المدينة، وترون كيف يعيش المجرمون عندنا.

خليستاكوف: ولكن لِمَ السجون؟ الأفضل أن نتجوّل في المؤسّسات الخيرية.

حاكم المدينة: كما تحبّون. هل تفضّلون أن تذهبوا في مركبتكم أو معي في عربتي الصغيرة؟

خليستاكوف: الأفضل أن أذهب معك في عربتك.

حاكم المدينة: (لدوبتشينسكي). طيّب، يا بيتر إيفانوفيتش، لم يبق الآن مكان لك.

دوبتشينسكي: لا بأس، أنا لوحدي.

حاكم المدينة: (لدوبتشينسكي، بخفوت). اسمع. أسرع بكلّ

خفّـة رجليك، واحمـل رسالتـين إحداهما لزيملانيـكا في المؤسّسة الخيريـة، والثانيـة لزوجتـي. (لـخليستاكـوف).. هـل أجـرؤ على الاستئـذان بكتابـة سطر واحـد لزوجتـي بحضوركم، حتّـى تتهيأ لاستقبال الضيف المحترم؟

خليستاكوف: ولِمَ ذلك؟... على العموم يوجد حبر، ولا أعرف فيما إذا كان هناك ورَق.... ربّما على ورقة الحساب هذه؟

حاكم المدينـة: سأكتب عليها. (يكتب ويحـدّث نفسه في ذات الوقـت).. سنرى كيف تجري الأمور بعـد الفطور وزجاجة منتفخة البطـن! عندنا خمرة «الماديرا» من ولايتنا، قبيحة في المظهر، ولكنها تطـرح الفيل. فقط لـو أعرف أي شخص هـو، وإلى أي حدّ يُخيف (يفرغ من الكتابـة، ويقدّم الورقـة لدوبتشينسكي الذي يقترب من الباب، ولكـن الباب ينخلع في ذلك الوقـت، وبوبتشينسكي الذي كان يتسمّـع في الجانـب الآخـر، ينقذف معه علـى المسرح. الجميع يرسلون آهة التعجب. بوبتشينسكي ينهض)..

خليستاكوف: ها؟ هل أصبت برض؟

بوبتشينسكي: لا شـيء، لا شيء، بدون أي خبطة دماغ. خدش صغير فوق الأنف فقط! سأخطف رجلي إلى خريستيان إيفانوفيتش. عنده لزقة، وسيزول.

حاكم المدينة: (يومئ لبوبتشينسكي إيماءة تقريع. لخليستاكوف). لا بأس في هـذا. تفضلـوا أرجوكـم. سأطلـب مـن خادمكم نقل حقيبتكـم. (لأوسيـب).. يا حضـرة الفاضـل، أنقـل كلّ شيء إلى بيتـي، بيت حاكم المدينـة سيدلّك أي واحد تسـأل. تفضلوا رجاء! (يـترك خليستاكوف ليتقدّمـه، ويسير وراءه، ولكنّـه يلتفت ويقول لبوبتشينسكـي معنّفاً).. هكذا تفعل! لم تجد مكانـاً تقع فيه إلا هنا! انبطحت بطحة كافرة.

(يخرج وبوبتشينسكي وراءه).. (تنسدل الستارة).

الفصل الثالث

(حجرة الفصل الأوّل).

المشهد الأول

(آنـا آندريفنـا و ماريـا أنتونوفنـا واقفتان عنـد النافذة في نفسـ الوضع السابق).

آنا آندريفنـا: ها قد انقضت ساعة كاملـة في الانتظار. وتأخرنا بسبب تصنُّعك الأبله. أكملتِ زينتكِ تماماً، ولكنك كنت ستستمرّين في التزيين.... ما كان علـيَّ أن أنتظرك... يا خسارة! لا يوجد أحد في الشارع كأنما نكاية! لا روح ولا نفس.

ماريـا أنتونوفنا: ولكـن تأكدي، يا ماما، سنعـرف كلّ شيء بعد دقيقتـين، بعـد قليل ستعود آفدوتيـا، حتماً، (تنظر مـن النافذة نظرة متفحصة، وتهتـف).. آه، ماما، ماما! شخص قادم هناك، في أقصى الشارع.

آنا آندريفنا: أين هـو؟ دائماً لا يعوزك الخيال. ولكن نعم، قادم، مـن هذا القـادم؟ متوسّط القامـة... في بدلة فـراك... من هو؟ ها؟ إزعاج، على كلّ حال! مَنْ يمكن أن يكون؟

ماريا أنتونوفنا: هذا دوبتشينسكي يا ماما.

آنـا آندريفنا: أي دوبتشينسكي هذا؟ أنت دائماً تتخيلين ما يطرأ

في ذهنـك! ليس دوبتشينسكي علـى الإطلاق. (تلـوح بمنديل).. هاي، أنت، تعال إلى هنا! أسرع!

ماريا أنتونوفنا: دوبتشينسكي. بالفعل، يا ماما.

آنـا آندريفنـا: أنـت تتقصّدين ذلـك لتجادلي، قلـت لك ليس دوبتشينسكي.

ماريا أنتونوفنا: مَنْ هو إذاً، يا ماما؟ ها أنت ترين أنّه دوبتشينسكي.

آنـا آندريفنا: أي، نعـم، دوبتشينسكـي. أراه الآن، ولأي شيء تجادلين؟ (تصيح من النافذة). أسرع، أسرع! أنت تتماهل، طيّب، أين هـم؟ ها؟ تكلّم من هناك. لا يهمّ. مـاذا؟ صارم جدّاً؟ ها؟ وزوجي، زوجـي؟ (تتراجع قليلاً عن النافذة بانزعـاج). أي بليد هو، لا يقول شيئاً، حتّى يدخل الحجرة.

المشهد الثاني

(**المرأتان و دوبتشينسكي**).

آنا آندرييفنا: تكلّم. ألا تخجل؟ اعتمدت عليك وحدك، كإنسان معتبر. الجميع خرجوا فجأة، وإذا بك تلحق بهم! وحتّى الآن لم أفهم شيئـاً نافعاً من أحـد. ألا تستحي؟ عمّدت لك ابنـك وابنتك، بينما أنت تتصرّف بهذا الشكل معي!.

دوبتشينسكـي: والله، يا معمّـدة أطفالي. جئـت راكضاً متقطّع الأنفاس لأؤكّد لك احتراماتي. احتراماتي. يا ماريا أنتونوفنا.

ماريا أنتونوفنا: مرحباً، يا بيتر إيفانوفيتش!

آنا آندرييفنا: تحدث ماذا وكيف هناك؟

دوبتشينسكي: أنتون أنتونوفيتش. أرسل لك مذكّرة.

آنا آندرييفنا: ولكن مَنْ هو؟ جنرال؟

دوبتشينسكي: لا، ليس جنرالاً، ولكنّه لا يقلّ مقاماً عن الجنرال. ثقافة، وتصرّفات وجيهة.

آنا آندرييفنا: أها! يعني هو الذي كتبوا لزوجي عنه؟

دوبتشينسكـي: حقيقـي. أنـا أوّل مَـنْ اكتشـف ذلـك مع بيتر إيفانوفيتش.

آنا آندرييفنا: تحدّث ماذا وكيف؟

دوبتشينسكـي: حمـداً لله أن كلّ شيء بخـير. في البداية استقبل أنتـون أنتونوفيتش. بشيء من الخشونة، فقد كان غاضباً ويقول: كلّ

شــيء في الفندق سيئ. هو لا يأتي إليه، هو لا يريد أن يدخل السجن بسببه. ولكن حالما عرف براءة أنتون أنتونوفيتش، وتحدّث معه بإلفة أكـثر، غيَّر فكـره في الحال، وسـار كلّ شيء بشـكل جيّد، والحمد لله... ذهبـوا الآن لتفقـد المؤسسات الخيريـة... بصراحة كان أنتون أنتونوفيتش. يظن أن هناك وشاية سرية.. وأنا أيضاً، خفت قليلاً.

آنا آندرييفنا: وممّ تخاف؟ وهل أنت في وظيفة؟

دوبتشينسكـي: ولكـن الإنسـان يشعـر بالخوف، حـين يتكلّم صاحب سلطة.

آنـا آندرييفنـا: لا بأس... كلّ هذا هراء، علـى كلّ حال. حدثني كيف شكله؟ عجوز أم شابّ؟

دوبتشينسكي: شـابّ، في نحو الثالثة والعشريـن. ولكنّه يتكلّم كالشيـخ المجرّب، تمامـاً، يقول: «سأذهب بكل سـرور إلى هنا وإلى هنا»...(يشـير بذراعيـه).. كلامه رائع. ويقول: «أحـبّ أن أكتب وأقرأ، ولكن الذي يعيقني أن الحجرة مظلمة قليلاً».

آنا آندرييفنا: وما لون شعره؟ أسود فاحم أم أشقر؟

دوبتشينسكـي: لا، بـل كستنـاوي أكـثر، وعينـاه خفيفتان في حركتهما كوحشين صغيرين، حتّى لتثيرا فيك الارتباك.

آنـا آندرييفنا: مـاذا يكتب لي في هذه المذكّـرة؟ (تقرأ).. «أسرع فأبلغك، يا روحي، حالتي كانت بائسة للغاية، ولكنّني بالتوكّل على رحمـة الرب، روبل وخمسة وعشرون كوبيكاً ثمن خيارتين مخلّلتين بطريقـة خاصّـة ونصف صحن كافيـار....» (تتوقّـف) أنا لا أفهم شيئاً. ما علاقة الخيارتين المخلّلتين والكافيار هنا؟

دوبتشينسكـي: لأن أنتـون أنتونوفيتشـ كتب ذلـك على ورقة مستعملة بسبب استعجاله. على فاتورة حساب.

آنــا آندريـيفنــا: نعــم، بالضبط. (تستمــرّ في القــراءة). «ولكنّني بالتــوكّل على رحمة الربّ أظنّ كل شيء سينتهي نهاية حسنة. هيّئي بسرعة لضيف وجيه الحجرة المبطّنة بورق الحيطان الأصفر، ولا تتعبي نفسك بإضافة شيء على الغداء، لأنّنا سنأكل عند أرتيمي فيليبوفيتش في المؤسســة الخيرية، ولكن اطلبي مزيــداً من الخمرة. أخبري التاجر عبدولين بأن يرسل أفضل خمرة، وإلا فسأقلب كلّ سردابه عاليه على سافله. أقبّل يدك، يا روحــي، وأظلّ المخلص لك أنتون سكفوزنيك دموخانوفسكي...» آه، يا إلهي! على كلّ حال، يجب أن يكون كلّ ذلك بسرعة! هاي، من هناك؟ ميشكا!.

دوبتشينسكــي: (يركض ويصيح في البــاب). ميشكا! ميشكا! ميشكا!.

(ميشكا يدخل).

آنــا آندريـيفنا: اسمع. أسرع إلى التاجــر عبدولين...على مهلك، سأعطيــك رسالة (تجلس إلى الطاولــة، وتكتب رسالة وتقول في أثناء ذلــك).. أعط هذه الرسالــة للحوذي سيدور ليهرع بهــا إلى التاجر عبدولين، ويجلب منه الخمرة، واذهب أنت لترتيب الحجرة للضيف بشكل جيّد. ضع فيها سريراً، ومغسلة، وغير ذلك.

دوبتشينسكــي: آنا آندريـيفنا سأسرع أنــا الآن لأرى كيف يتفقّد الأمور هناك.

آنا آندريـيفنا: اذهب، اذهب! أنا لا أمسكك.

المشهد الثالث

(آنا آندريفنا و ماريا أنتونوفنا).

آنا آندريفنـــا: علينا الآن أن نشتغل بزينتنا. إنّه قادم من العاصمة، وقـد يهزأ مـن شيء ما، لا سمـح الله، الأوجَه لـك أن تلبسي ثوبك الأزرق بحواشيه الرقيقة.

ماريـا أنتونوفنا: أعفينـي من الأزرق، يا مامـا! لا أحبّه أبداً، ابنة القاضـي ترتـدي الأزرق أيضاً، وكذلـك ابنة الراعـي. لا، يا ماما، الأحسن أن ألبس المبرقش.

آنـا آندريفنا: المبرقش!... حقّاً، أنـت لا تتكلّمين إلا لتعترضي. سيكـون الأزرق أحسن بكثير، لأنني أريد أن أرتدي الثوب الأصفر الشاحب، أنا أحبّ الأصفر الشاحب كثيراً.

ماريا أنتونوفنا: آه، يا ماما، لا يناسبك الأصفر الشاحب.

آنا آندريفنا: لا يناسبني؟

ماريـا أنتونوفنـا: لا يناسبـك، أراهن على كلّ مـا تريدين، إنّه لا يناسبك، هذا اللون ينسجم مع عينين داكنتين تماماً.

آنـا آندريفنا: وليكن! أليست عيناي داكنتين؟ داكنتان كلياً كلياً. كلامـك هراء! عيناي داكنتان وإلا فلماذا اختار ملكة السباتي عندما أستخير الورق؟

ماريا أنتونوفنا: آه، ماما، تناسبك ملكة الكوبة أكثر.

آنـا آندريفنا: سخافـة، سخافة تمامـاً! لم أكن ملكة كوبـة أبداً.

(تخـرج على عجـل مع ماريـا أنتونوفنا وتتكلّم مـن وراء المسرح).

دائماً تتخيّل ما يطرأ على ذهنها! ملكة كوبة! الله يعلم ما هذا؟..

(بعـد خروجهما ينفتح الباب، وميشكا يلقي الوساخة منه، ومن الباب الأخر يخرج أوسيب يحمل حقيبة على رأسه).

المشهد الرابع

(ميشكا وأوسيب).

أوسيب: أين أضعها؟

ميشكا: هنا، يا عمّ، هنا

أوسيــب: انتظر. دعني أستريــح أولاً. أوه، يا للعيشة النكدة! كلّ حمل يبدو ثقيلاً على بطن فارغ.

ميشكا: قل لي، يا عمّ، هل سيحضر الجنرال قريباً؟

أوسيب: أي جنرال؟

ميشكا: سيّدك.

أوسيب: سيّدي؟ وأي جنرال هو؟

ميشكا: معقول أليس جنرالاً؟

أوسيب: جنرال، ولكن من الجهة الأخرى.

ميشكا: يعني أكثر أم أقلّ من الجنرال الحقيقي؟

أوسيب: أكثر.

ميشكا: ياه! ولهذا ثار أسيادنا على هذه الدربكة...

أوسيب: اسمع، يا حلو، أرى أنّك فتى شاطر، هيئ لي شيئاً آكله.

ميشكا: لم يحضر لك شيء يا عمّ. لا أظنك ستقبل ببسيط الطعام. ولكن حين يجلس سيّدك إلى المائدة سيقدّم لك نفس الطعام أيضاً.

أوسيب: طيب، ما هو بسيط الطعام عندكم؟

ميشكا: حساء كرنب، وعصيدة وفطائر.

أوسيـب: هـات حساء الكرنـب والعصيدة والفطائـر. لا بأس، سنأكل كلّ شيء، لنحمل الحقيبة، هل يوجد باب آخر؟

ميشكا: يوجد.

(الاثنان يحملان الحقيبة إلى حجرة جانبية).

المشهد الخامس

(شرطيان يفتحان كلتا ضلفتي الباب. يدخل خليستاكوف ووراءه حاكم المدينة وبعدهما راعي المؤسسات الخيرية، وناظر المدرسة، ودوبتشينسكي وبوبتشينسكي وعلى أنفه لصقة، حاكم المدينة يشير للشرطيين إلى ورقة في الأرض، فيركضان ويرفعانها يزحم أحدهما الآخر في عجل).

خليستاكوف: مؤسسات جيّدة. يعجبني أنّكم تفرجون المسافرين على كلّ شيء في المدينة. في المدن الأخرى لم يفرجوني على أي شيء.

حاكم المدينة: أجرؤ أن أقول في المدن الأخرى أكثر ما يهتمّ به الحكّام والموظفون هو منفعتهم بينما نحن هنا، إذا صحّ القول، لا نفكّر إلا بالاعتناء بالنظام وأن يكون حرصنا جديراً باهتمام الرؤساء.

خليستاكوف: الفطور كان محترماً، شبعت تماماً. هل الفطور عندكم بهذا الشكل دائماً؟

حاكم المدينة: خصيصاً لضيف كريم مثلكم.

خليستاكوف: أنا أحبّ الطعام. فالإنسان لا يعيش إلا لاقتطاف زهور اللذّة. ماذا يسمّى هذا السمك؟

أرتيمي فيليبوفيتش: سمك القدّ الطازج المملح.

خليستاكوف: لذيذ جدّاً. أين تناولنا فطورنا؟ في المستشفى؟ أليس كذلك؟

أرتيمي فيليبوفيتش: بالضبط، في المؤسّسة الخيرية.

خليستاكـوف: أتذكّر، أتذكّر. كانت هنـاك أسرّة. والمرضى هل شفوا؟ يبدو لي أنّهم كانوا قليلين.

أرتيمـي فيليبوفيتش: لم يبق إلا عشرة، لا أكثر، والبقية شفوا. هذا هـو النظام عندنا. منذ أن تسلّمت الرئاسـة ولربّما يبدو لك ذلك غير معقـول صار الجميع يمتلئون عافية. ما ان يدخل المريض الردهة حتى يشفى بالنزاهة والنظام أكثر منه بالأدوية.

حاكم المدينة: أجسر أن أقول لكم إن مسؤولية حاكم المدينة صعبة وأكثر من صعبة. كم من الأشغال في مجال النظافة وحدها، والترميم، والتصليح.... باختصار أقول حتّـى أذكى الناس يجد مشقّة. ولكن الأمـور تسير سـيراً حسناً، والحمـد لله. أي حاكم آخـر كان سيهتمّ بمنافعـه الخاصّة، طبعاً. ولكن، صدقنـي، حتّى حين أرقد لأنام، أظلّ أفكّـر: «يا إلهي، كيـف أفعل لأجعل الرئاسة تـرى مثابرتي وتكون مرتاحـة؟ ...؟. الأمـر متروك لها بالطبع، لتكافئنـي أو لا تكافئني، ولكنّنـي، على الأقلّ، سأكون مرتـاح الضمير. وهنا يسود النظام في المدينـة في المجالات كلها والشوارع نظيفة، والمحجوزون في رعاية جيّـدة، والسكارى قليلون... فماذا أريد غـير هذا؟ لا أريد أكثر من هـذا، قسماً لا أريد أي مكافـأة. الإنسان يطمح، بالطبع، ولكن كلّ مكافأة هباء إلى جانب العفّة».

أرتيمـي فيليبوفيتش: (جانباً). آه، الخامـل، كيف يزوّق! موهبته هذه من نعم الله.

خليستاكـوف: هذا صحيح. أنا أيضـاً، بصراحة أحبّ التفلسف أحياناً، بالنثر مرّة، وبالقريض مرّة أخرى.

بوبتشينسكي: (لدوبتشينسكي) حق ما يقول يا بيتر إيفانوفيتش! يا لها من ملاحظات... الظاهر أنّه درس العلوم.

خليستاكــوف: قل لي، من فضلك، هل توجــد لديكم تسليات، جماعات يمكن لعب الورق فيها، مثلاً؟

حاكــم المدينة: (جانباً) أها، نعرف يــا عزيزي إلامَ ترمي من هذه الخدعــة (بصوت مسموع). حاش لله. لا توجد مثل هذه الجماعات هنــا. لم أمســك بيدي شــدّة ورق قطّ. بل ولا أعــرف كيف يلعبون الورق. ولا أقدر أن أراه دون أن أغضب. وإذا صادف أن رأيت ملك الديناري أو غيره يأخذني القرف حتى أبصق تقزّزاً. وذات مرة أردت أن أسلّــي الأطفال، فبنيت من الورق كشــكاً، وبعد ذلك حلمت به طوال الليــل، عليه اللعنة، لا يهمني هذا، كيــف يمكن تضييع الوقت الثمين بالورق؟

لوكا لوكيتش (جانباً): الوغد ربح مني أول الأمس مائة روبل.

حاكم المدينة: الأحسن أن أستغلّ هذا الوقت لفائدة الدولة.

خليستاكــوف: لا، لا أظنّك على حــقّ... كلّ شيء يتوقّف على الطــرف الذي ينظر منه المرء إلى المرء. فحين تكفّ عن زيادة الرهان، مثــلاً، في الوقت الذي يتعيّن عليك أن تزيــده ثلاث مرات، سيكون ذلك صحيحاً، بالطبع، لا، لا تقل هذا، فاللعب أحياناً مغر جدّاً.

المشهد السادس

(نفس الأشخاص مع آنا آندرييفنا و ماريا أنتونوفنا).

حاكم المدينة: لي الشرف أن أقدّم لكم عائلتي، زوجتي وابنتي.

خليستاكوف: (ينحني). كم أنا سعيد، يا سيّدتي في أن تكون لي هذه البهجة برؤيتك.

آنا آندرييفنا: ونحن أسعد في رؤية وجيه مثلكم.

خليستاكوف: (يتبختر). عفـوك، يا سيّدتي، على العكس تماماً. أنا أسعد حظّاً.

آنا آندرييفنا: ما هذا القول! أنتم تقولون ذلك للمجاملة. أرجوكم اجلسوا.

خليستاكـوف: الوقوف قربك سعـادة، ولكنّني سأجلس، إذا أصرّيتِ على الجلوس. كم سعيد أنا بالجلوس قربك أخيراً.

آنـا آندرييفنا: العفو. أنا لا أستحق ذلك... أظنّ السفر كان متعباً لكم بعد العاصمة.

خليستاكـوف: متعب للغاية. فأنا الذي تعـوّدت على العيش في المجتمـع الراقـي comprenez vous، أجـد نفسـي في سفر فجأة، حانات قذرة، وظلام الجهل... وبصراحة لولا هذه المصادفة التي.... (ينظر إلى آنا آندرييفنا ويتغنج) جازتني على كلّ شيء....

آنا آندرييفنا: بالفعل، لابدَّ أن يكون متعباً لكم.

خليستاكـوف: على كُلّ حال، يا سيدتي، أنا مرتاح جدّاً في هذه اللحظة.

آنـا آندريفنا: كيف يمكن. أنتم تولونني شرفاً كبيراً. أنا لا أستحقّ ذلك.

خليستاكوف: ولماذا لا تستحقين؟ أنت تستحقّين، يا سيّدتي.

آنا آندريفنا: أنا أعيش في الريف...

خليستاكـوف: ولكن للريـف أيضاً تلاله وجداولـه. بالطبع، لا أحـد يقارنه ببطرسبورغ. آه، بطرسبـورغ! أي حياة هي، حقّاً! ربّما تظنّين أنني أوسخ يدي بالاستنســاخ. أبداً. رئيس القسم على علاقة وديّـة معي. يربت على كتفي، ويقـول: «تعال تناول غداءك عندي، يـا أخ!» ولا أمكث في الشعبة إلا دقيقتين لأصدر هذا الأمر أو ذاك! يوجـد هناك موظّـف شغلته الكتابـة، مهمّته أن يشغـل ريشته.... يكتب، يكتب، بـل أرادوا حتّى أن يجعلـوني كبير الموظفين. ولكن قلـت لنفسي: لا حاجة. والحارس يركض ورائي على الدرج ومعه فرشـاة، ويقـول: «اسمح لي، يا إيفـان الكسندروفيتش، أن أنظّف حذاءك». (إلى حاكم المدينـة).. لماذا أنتم واقفون، يا سادة؟ اجلسوا رجاء!.

لوكا لوكيتش: لا تقلقوا أنفسكم.

أرتيمي فيليبوفيتش: سنقف.

حاكم المدينة: سلّم الوظيفة لا يسمح.

خليستاكوف: لا تتقيّدوا بالوظائف، واجلسوا.

(حاكم المدينة والجميع يجلسون).

أنـا لا أحب الرسميات، بل على العكس، أحبّ دائماً أن أزوغ دون أن أُلحـظ. ولكن لا مجال للزوغـان، غير ممكن! ما إن أخرج إلى مـكان ما حتّى يقول الناس: «هذا هو إيفان الكسندروفيتش يسير!» بل وذات مرّة حسبوني القائد الأعلى. خرج الجنود مسرعين من ثكنة

الحجـز. شاكي السلاح. وبعد هذا قال لي ضابط من معارفي: أوه، يا أخ، ظنّناك القائد الأعلى تماماً.

آنا آندريفنا: تصوّروا!

خليستاكـوف: يعرفونني في كل مـكان، أعرف بعض الممثلات الحسناوات، وأؤلّـف أنواع الفودفيلات... وغالباً مـا ألتقي بأدباء ولي علاقـة وديّة مع بوشكين. غالباً مـا أقول له: «كيف حالك يا أخ بوشكين؟» فيجيب: «هكذا، يا أخ، يعني....». نموذج عجيب.

آنـا آندريفنا: يعني تكتبـون؟ أظنّ في ذلك متعـة! وتنشرون في المجلات أيضاً؟

خليستاكـوف: وأنشـر في المجـلات أيضـاً. بالمناسبـة، عنـدي مؤلفـات كثيرة. «زواج فيغارو» و«روبـرت العفريت» و«نورما». وغيرهـا لا أذكر حتّـى عناوينها. وكلّ ذلك عفو الخاطـر. لم أرد أن أكتـب، ولكـن إدارة المسارح تقول لي: «أرجوك، يـا أخ، اكتب لنا شيئاً». فأقول لنفسي: «ممكـن، تفضّل، يا أخ». وفي أمسية واحدة، على ما أعتقد، دبّجت كلّ شيء، وأدهشت الجميع. عندي فيض غير اعتيـادي في الأفكار. كلّ ما كان باسم البـارون برامبوس، «فرقاطة الأمل» و «تلغراف موسكو» كل ذلك من تأليفي.

آنا آندريفنا: إذاً، فأنتم كنتم تكتبون باسم برامبوس؟

خليستاكوف: بالطبع، أصحح شعرهم جميعاً، سميردين يعطيني أربعين ألف على ذلك.

آنـا آندريفنا: هكذا، إذاً، و«يوري ميلوسلافسكي» من تأليفكم أيضاً.

خليستاكوف: نعم، من تأليفي.

آنا آندريفنا: حدست حالاً.

ماريـا أنتونوفنـا: آه، يـا ماما ، مكتـوب عليه من تأليـف السيد زاغوسكين.

آنا آندريفنا: هذا ما عرفته، ستجادلين حتّى في هذا.

خليستاكـوف: آه، صحيـح، مـن تأليف زاغوسكـين بالضبط. ولكن هناك «يوري ميلوسلافسكي» آخر، من تأليفي.

آنا آندريفنا: هذا صحيح. قرأت روايتكم. مكتوب بشكل جيّد!

خليستاكوف: آنا آندريفنا بصراحة أحيا على الأدب، بيتي الأوّل في بطرسبورغ. وهو معروف هناك باسم بيت إيفان الكسندروفيتش (يخاطب الجميـع). اعملوا معروفاً، أيّها السادة، وتفضّلوا بزيارتي، حين تكونون في بطرسبورغ، أنا أيضاً أقيم حفلات راقصة.

آنـا آندريفنـا: أعتقد أنّكـم تقيمون حفلات راقصـة في منتهى الذوق والفخامة.

خليستاكـوف: ولا حاجة إلى كلام. على المائـدة، مثلاً، بطيخة بسبعمائة روبل. والحساء في قدره جاء من باريس مباشرة، بالباخرة. وحـين يرفع غطاء القدر يخرج بخـار لا مثيل له في الطبيعة كلّها. أنا كلّ يوم في حفلة راقصة. ولنا لعبة ورق خاصة بنا أيضاً، يشترك فيها وزير الخارجية، والمبعـوث الفرنسي، والمبعوث الإنجليزي والمبعوث الألماني وأنا. وأظـلّ ألعب حتّى أُنهك. حالما أصعد السلّم إلى الطابق الرابع أقول للطبّاخة: «خذي منّي المعطف يا مافروشكا...» أوه، ما هذا الكذب. نسيت. أ نا أسكن في الطابق الأوّل... السلم وحده في بيتي يساوي... مـن المسلّي أن تنظروا في رواق بيتي، حين أكون ما أزال نائماً. تجدون الكونتات والمراء هناك محتشدين يتحدّثون ويطنّون طنين النحل، ولا تسمعون إلا الطنين.. وأحياناً يوجد وزير...

(حاكم المدينة والآخرون ينهضون من مقاعدهم بتهيب).

بـل وحـين توجـه إليّ رسالة يكتبـون على الظـرف: «صاحب

المعـالي». وفي أحد الأوقات كنـت أدير مديرية كاملـة في الوزارة! الغريـب أن المدير العامّ رحل. إلى أيـن رحل؟ غير معروف. وطبيعي أن تـدور أحاديث عن كيف ومَـنْ سيحتل مكانـه. وكان الراغبون كثيريـن بين الجـنرالات الذين جـاءوا، ثـمّ تراجعوا لأنّهـم وجدوا المهمّـة صعبة. لأنها في الظاهر تبدو سهلـة، ولكنّها عند الممارسة لا تُحتمل أبداً... وحـين تأكّدوا من أنّهم لا يستطيعون القيام بها جاءوا إليّ... وفي الحـال كان السُعاة يملأون الشـوارع يروحون ويجيئون بالمساعـي... تصوّروا وحدهم يقدّرون بخمسة وثلاثين ألف ساع! وضـع، وأي وضع! ويقولون لي: «يا إيفـان الكسندروفيتش! ترأّس المديرية العامّة». ارتبكت قليلاً، بصراحة. وخرجت بالروب المنزلي، وأردت أن أرفض، ولكـن فكّـرت. سيسمع مولانـا القيصر... ثمّ لابـدّ من الترقية في آخر الأمر... قلـت: «طيب، أيّها السادة، سأقبل الوظيفة، سأقبلها. وليكن، سأقبلهـا ولكنني سأجعلهم يرتجفون فأنا صارم متشـدّد فإنّ لي أذنـاً مرهفة! أنا....» وبالفعـل، ما إن أدخل المديرية حتّى يبـدأ الارتجاف والارتعاش، وكأنّـه الزلزال... الجميع يهتزّون كأوراق الشجر.

(حاكم المدينة والآخرون يرتجفون، ويزداد حماس خليستاكوف).

آوه! أنـا لا أحب المـزاح، أصدرت توبيخاً بحـقّ الجميع. حتّى مجلس الدّولة يخاف منّـي. و لِمَ لا؟ أنا هكذا! لا أبالي بأي إنسان... وأقول للجميع: «أنا أعرف نفسي، أعرفها» أنا في كلّ مكان، في كلّ مـكان. أزور القصر كلّ يوم، غداً، حالاً، سأرقى إلى فيلدمارشال... (تـزل قدمه، ويـكاد يقع على الأرض، ولكن الموظفـون يسندونه باحترام)..

حاكم المدينة (يقترب ويرتجف بكلّ جسده، ويجاهد لأن ينطق): صـ... صـ... صـ.....

خليستاكوف (بصوت حاد سريع): ما هذا؟

حاكم المدينة: صـ... صـ... صـ.....

خليستاكوف (بنفس الصوت): لا أفهم شيئاً. مجرّد هراء.

حاكم المدينة: صـ... صـ... صاحب المعالي، ألا تحبّون أن تستريحوا... هذه الحجرة، وكلّ ما هو لازم.

خليستاكوف: هراء أن أستريح.. طيّب، مستعدّ أن أستريح. فطوركم، يا سادة، جيّد... أنا راضٍ، أنا راض. (بلهجة خطابية).. سمك القد! سمك القد!

(يدخل في الحجرة الجانبية، وحاكم المدينة وراءه).

المشهد السابع

(نفس الأشخاص ما عدا خليستاكوف و حاكم المدينة).

بوبتشينسكي (لدوبتشينسكي): انظر، يا بيتر إيفانوفيتش، أي رجل هو، هذا هو الرجل الحقّ! في حياتي لم أكن في حضرة رجل مهمّ مثله، حتّى كدت أموت من الرعب. ما رأيك، يا بيتر غيفانوفيتش، من هو من حيث الرتبة؟

دوبتشينسكي: أظنّه في مستوى جنرال.

بوبتشينسكي: أظن رتبة جنرال قليلة جداً في حقّه، وإذا كان في هذه الرتبة فهو جنراليسيموس. هل سمعت كيف ضيّق على مجلس الدولة؟ لنذهب ونخبر أمّوس فيدروفيتش وكوروبكين بأقرب وقت. مع السلامة، يا آنا آندرييفنا.

دوبتشينسكي: مع السلامة، يا معمدة أولادي.

(يخرج الاثنان).

أرتيمي فيليبوفيتش (للوكا لوكيتش): رعب حقيقي! ولا أعرف لماذا. حتّى بزاتنا الرسمية لم نلبسها. فماذا لو سيبلّغ بطرسبورغ بعد أن يستيقظ ويزول عنه السُّكر؟ (يخرج ساهماً مع ناظر المدرسة، ويقول): وداعاً، يا سيّدتي!.

المشهد الثامن

(آنا آندريفنا و ماريا أنتونوفنا)..

آنا آندريفنا: آه، ما ألطفه!

ماريا أنتونوفنا: آه، ما أحلاه!

آنا آندريفنا: وأي رقّة في السلوك! تعرفين رأساً أنّه شخصية من العاصمة. طريقة الكلام والمعاملة وكلّ شيء... آه، رائع! أهيم بمثل هؤلاء الشبّان! أذوب فيهم. وأنا أيضاً أعجبته، على كلّ حال، لاحظته يرمقني طول الوقت.

ماريا أنتونوفنا: آه، يا ماما، كان يرمقني أنا.

آنا آندريفنا: أرجوك، أبعدي عنّي سخافتك! هذا لا يليق أبداً.

ماريا أنتونوفنا: لا يا ماما، حقّاً!..

آنا آندريفنا: أهوه! لابدّ أن تجادل! غير ممكن، وكفى! وأين له أن ينظر إليك؟ و لِمَ عليه أن ينظر إليك؟

ماريا أنتونوفنا: حقاً، يا ماما، طول الوقت كان ينظر إليّ. حالما بدأ يتكلّم عن الأدب أخذ يرمقني، وبعد ذلك، حين كان يتحدّث عن لعب الورق مع المبعوثين، في هذه المرّة رمقني أيضاً.

آنا آندريفنا: ربما مرّة واحدة، وحتّى هذه من باب المسامحة وحدها يقول لنفسه: «لا بأس لو نظرت إليها».

المشهد التاسع

(الاثنتان مع حاكم المدينة).

حاكم المدينة: (يدخل على أطراف أصابعه) شش.... ش...

آنا آندريفنا: ماذا؟

حاكم المدينة: وحتّى سُكره لم يجلب لي الفرحة. ولكن ماذا لو كان صحيحاً حتّى نصف ما قاله؟ (يغرق في تفكير) ثمّ كيف لا يكون صحيحاً؟ الإنسان إذا سكر باح بكل مافي صدره. ما في قلبه يطفح على لسانه. كلامه لم يخلُ من كذب بالطبع؛ ولكن حين لا يكذب أحد يعني لم يتكلم. يلعب مع الوزراء، ويزور القصر... آوه، حقّاً، كلّما أفكّر في الأمر... اللعنة، لا أعرف ماذا يحصل في رأسي. كأنّني واقف على برج عال، أو أوشك أن أُشنق.

آنا آندريفنا: بينما أنا لم أشعر بأي تخوّف. لا شيء سوى أنّني وجدت فيه رجلاً مثقّفاً من المجتمع الراقي آداب سلوكه رفيعة. أمّا الرتب فلست بحاجة إليها.

حاكم المدينة: أنتنّ نساء. وهذه الكلمة وحدها تكفي، فالأمر واضح، كلّ شيء لديكنّ هراء وتوافه. وفجأة تصدر منكن كلمة تستحق العقاب فعقابكن جلد لا أكثر، ولكن الزوج يتحمّل التبعة. ويضيع. لا أثر له ولا خبر. كنت، يا روحي، تتصرّفين معه وكأنّه من صنف دوبتشينسكي.

آنا آندريفنا: أنصحك بأن لا تقلق على ذلك. لسنا جاهلات بكلّ شيء....(تنظر إلى ابنتها)..

حاكـم المدينة: (يخاطـب نفسـه). أوه، لا جدوى مـن الكلام معكـنّ... هذه مصادفة مزعجة في الحقيقة! حتّى الآن لا أستطيع أن أسيطر على الفزع. (يفتح الباب، ويتحدّث عند الباب).. يا ميشكا، استدع، الشرطيين سفيستونوف وديرجيموردا. إنّهما في مكان غير بعيـد من هنـا، وراء البوّابة. (بعـد صمت قصـير). كلّ شيء انقلب في هـذا العالم بشـكل عجيب. علـى الأقلّ لو كان مهيـب الطلعة، ولكنّه نحيف هزيل. فكيـف تعرف من هو! العسكري يدل مظهره علـى ذلك ولكن حين يلبس بدلة الفراك يصـير مثل ذبابة مقصوصة الجناحين. ظلّ يتخفّى في الفندق وقتاً طويلاً، و لم يكشف عن نفسه. يلفق الحكايات ويلفّ ويناور حتّى بدا وكأنّه لن ينكشف أبداً. ولكنّه وقـع أخيراً. وانفلت لسانـه حتّى أكثر من الـلازم. الظاهر أنّه شاب غرير.

المشهد العاشر

(نفس الأشخاص مع أوسيب. الجميع يهرعون للقائه، مشيرين بالأصابع).

آنا آندرييفنا: تعال هنا، يا حضرة!

حاكم المدينة: شش! ماذا؟ ماذا؟ نائم؟

أوسيب: لا، لحدّ الآن! يتمطّى قليلاً.

آنا آندرييفنا: ما اسمك؟

أوسيب: أوسيب يا مولاتي.

حاكم المدينة: (لزوجته وابنته). كفى، كفاكما؟! (لأوسيب). طيّب، يا صاحبي، هل أطعموك جيّداً؟..

أوسيب: أطعموني، مع الشكر الجزيل، أطعموني جيداً.

آنا آندرييفنا: قل لي، أظنّ أنّ كونتات وأمراء كثيرين جدّاً يزورون سيّدك؟

أوسيب (جانباً): ماذا أقول؟ إذا كانوا الآن أطعموني بشكل جيّد. فسيطعمونني بشكل أحسن. فيما بعد. (بصوت مسموع). نعم، وكونتات أيضاً.

ماريا أنتونوفنا: أوسيب الحلو، ما أجمل سيّدك!

آنا آندرييفنا: قل لي ، من فضلك، يا أوسيب كيف هو...

حاكم المدينة: ولكن كفّي، رجاء! بأقوالكما الفارغة هذه تعيقانني لا غير.. طيب، ماذا، يا صاحبي؟

آنا آندريفنا: وما رتبة سيدك.

أوسيب: رتبة اعتيادية.

حاكم المدينــة: آوه، يا ربي، ما زلت علـى استفساراتك البلهاء! لا تتركينني أتكلّم كلمة في الموضوع. طيب، يـا صاحبي، كيف سيدك؟... صارم؟ يحب إصدار التوبيخات أم لا؟

أوسيب: نعم، يحبّ النظام. وأن يكون كلّ شيء مضبوطاً.

حاكـم المدينــة: يعجبني وجهـك كثيراً. أظنّـك إنسانـاً طيّباً، يا صاحبي. ماذا....

آنـا آندريفنا: اسمع، يا أوسيب، هل سيّـدك يلبس البزّة الرسمية هناك؟

حاكم المدينة: كفاكِ من هذه الثرثرات، حقّاً! توجد قضية مهمّة، تتعلّـق بحياة إنسان... (لأوسيب).. حقّاً، يا صاحبي، أنت تعجبني كثيراً. الجوّ الآن يميل إلى البرودة. فلا ضير أن تشرب قدحاً أو قدحين من الشاي في الطريق. خذ هذين الروبلين الفضيين للشاي.

أوسيـب (يأخـذ النقود): شكـراً جزيلاً، يا سيّـدي، جعلك الله موفور الصحة، ساعدتم شخصاً بائساً.

حاكم المدينة: طيّب، طيّب، وأنا مسرور أيضاً، يا صاحبي...

آنا آندريفنا: اسمع، يا أوسيب، بأي العيون يعجب سيّدك أكثر؟

ماريا أنتونوفنا: أوسيب يا حلو! أي أنف لطيف لسيدك!

حاكم المدينــة: توقّفا، اتـركاني!.. (لأوسيـب).. طيّب، خبّرني رجاء، يا صاحبي: ماذا يلفت نظر سيّدك أكثر، أقصد أي شيء يعجبه أكثر عند السفر؟

أوسيـب: حسب الظروف. أكثر ما يحبّـه أن يُستقبل جيّداً. وأن تكون المائدة عامرة.

حاكم المدينة: عامرة؟

أوسيـب: نعم، عامرة. وحتّى أنا، القنّ، يهتـم بأن أُعامل معاملة جيّـدة. وحقّ الربّ! يحـدث أن نسافر إلى مكان ما، فيسألني: «هل استضافـوك بشـكل جيّد، يـا أوسيـب؟» فأقول: «لا، يـا صاحب السيـادة» فيقول: «آه، يا أوسيب، صاحب هذا البيت سيئ. ذكرني، حين نعـود إلى بطرسبورغ». فأقول لنفسي (يلـوّح بيده). «عفا الله عنه! أنا رجل بسيط».

حاكـم المدينـة: لطيف، لطيـف، كلامـك مضبـوط. قبل حين أعطيتك فلوساً للشاي، وهذه علاوة للكعك.

أوسيـب: مـا هـذا الكرم، يـا صاحب السيـادة؟ (يقبـل النقود ويخفيها).. في هذه الحال سأشرب نخب صحّتك.

آنا آندريفنا: تعال إليّ، يا أوسيب، وسأعطيك أيضاً.

ماريا أنتونوفنا: أوسيب يا حلو، قبّل سيدك.

(يسمعون سعال خليستاكوف الخفيف من الحجرة الأخرى).

حاكـم المدينة: شش! (يقـف على أطراف أصابعـه؛ المشهد كلّه بصوت خافت).. لا تثيرا ضجة. واذهبا. هذا يكفيكما...

آنـا آندريفنـا: لنذهب، يا ماشينـكا! سأخبرك بمـا لاحظته على الضيف. شيء لا يمكن التحدث به إلا بيننا، الاثنتين.

حاكـم المدينة: أوه، من هذا الكلام! تسمع وتزهد وتسدّ أذنيك. (مخاطباً أوسيب). طيّب، يا صاحبي...

المشهد الحادي عشر

(نفس الأشخاص مع ديرجيموردا وسفيستونوف).

حاكـم المدينة: شش! هـؤلاء الدببة الغُرج كيـف يدقّون الأرض بأحذيتهم! تحسّ وكأنّ أثقالاً تقذف من عربة. أين أخذكما الشيطان؟

ديرجيموردا: كنت خارجاً بمهمّة...

حاكم المدينة: ششـ (يغلق فمه).. كنعيق الغراب! (يقلّده) كنت خارجـاً بمهمّـة! كأنه يزعق مـن برميل! (لأوسيب). طيّـب، يا أخ، اذهب وهيّئ ما يحتاجه سيّدك. كلّ ما في البيت يمكن أن تطلبه.

(أوسيب يخرج)

أمّـا أنتمـا، فقفا على مدخل البـاب، ولا تغـادرا مكانكما! ولا تسمحـا لأي غريـب، ولاسيّما التجّـار، بالدخـول إلى البيت! ولو سمحتمـا، ولو لواحـد منهم، فسـ... حالمـا تريان شخصـاً قادماً بعريضـة، حتّى ولو بدون عريضة، مجرّد رجل يُشتـمُّ منه أنّه يريد أن يفعـل ذلك، ادفعـاه من قفاه! بشـدّة! هكذا! (يدفـع بقدمه).. هل تسمعان؟ شش!.. (يخرج على أطراف أصابعه وراء الشرطيين)..

الفصل الرابع

(نفس الحجرة في بيت حاكم المدينة).

المشهد الأول

(يدخل بحذر وعلى أطراف الأصابع تقريباً أمّوس فيدروفيتش، وأرتيمي فيليبوفيتش ومأمور البريد، ولوكا لوكيتش، ودوبتشينسكي وبوبتشينسكي في بزّتهم الرسمية الكاملة. كلّ المشهد يجري بأصوات خافتة)..

أمّوس فيدروفيتش (يصف الجميع بنصف حلقة): بحقّ الربّ، يا سادة، أسرعوا في الحلقة، وبأكثر ما يمكن من النظام! أعاذنا الله منه. يزور القصر، ويوبّخ مجلس الدولة! اصطفوا بنظام عسكري، بنظام عسكري من كلّ بد! وأنت، يا بيتر إيفانوفيتش، استدر من تلك الناحية، وأنت يا بيتر إيفانوفيتش الآخر قف هنا.

أرتيمي فيليبوفيتش: حسب ما تشاء، يا أمّوس فيدروفيتش، حبّذا لو نتّخذ شيئاً ما.

أمّوس فيدروفيتش: وما هو بالذات؟

أرتيمي فيليبوفيتش: معروف ما هو.

أمّوس فيدروفيتش: ندهن يده؟

أرتيمي فيليبوفيتش: نعم، على الأقلّ هذا.

أمّوس فيدروفيتش: خطر، واللّه يستر، سيصرخ. فهو رجل دولة، ربمـا نقوم بذلك على شكل تبرّعات من جانـب النبلاء لإقامة نصب تذكاري؟..

مأمور البريد: أو نقول له «هذه نقود جاءت بالبريد من مجهول».

أرتيمـي فيليبوفيتش: أخشـى أن يرسلك أنـت بالبريد إلى مكان بعيـد، اسمعـوا، هـذه الأمور تجري بشـكل آخر في دولـة يسودها النظـام. لماذا جمعنا هنا بكلّ هيئتنا؟ يجـب أن نقدّم أنفسنا كلّ على انفـراد، وسيعطى لـه كل واحد ما يلزم لوحـده... فلا يتسرّب شيء لأذن زائـدة. هـذا ما يجـري في المجتمـع المعتبر. طيّـب، كن أنت الأوّل، يا أمّوس فيدروفيتش وابدأ.

أمّوس فيدروفيتش: الأفضل أن تبدأ أنت. الزائر العالي المقام ذاق الخبز والملح في مؤسّستك.

أرتيمي فيليبوفيتش: الأحسن أن يبدأ لوكا لوكيتش باعتباره مربّي الشباب.

لوكا لوكيتش: لا أقدر، لا أقدر، يا سادة، هكذا تربيّت، بصراحة، حالما يتحدّث معي شخص من رتبـة أعلى حتى أتلبّخ روحاً ولساناً، وكأنّني وقعت في وحل. لا، يا سادة، اعفوني، اعفوني حقّاً!..

أرتيمـي فيليبوفيتش: نعم، يا أمّوس فيدروفيتش لا أحد غيرك. ما إن تنطق بكلمة، حتّى يتدفق شيشرون على لسانك.

أمّوس فيدروفيتش: مـا هذا الكلام من جنابـك! شيشرون! أي بدعـة هذه! أحياناً أتحمّس في الكلام حـين أصف كلاب الصيد، أو كلبة طراد...

الجميـع (يلحّون عليه). لا، ليس عن كلاب الصيد فقط. بل وعن

برج بابـل أيضاً. لا، يا أمّوس فيدروفيتش لا تتخلَّ عنا، كن أبانا!... لا، يا أمّوس فيدروفيتش.

أمّوس فيدروفيتش: اتركوني يا سادة!

(في تلـك اللحظـة يُسمـع وقع خطـوات ونحنحـة في حجرة خليستاكـوف، الجميع يندفعون نحـو الباب يسبـق بعضهم بعضاً، ويتزاحمـون، ويحاولون أن يخرجوا متدافعـين مضغوطين. تصدر هتافات واطئة).

صـوت بوبتشينسكـي: أوه! بيـتر إيفانوفيتش، بيـتر إيفافيتش! دست على قدميَّ!

صوت زيملانيكا: أطلقوا سراحي يا سادة، حصرتموني تماماً!

(تصدر بعض الهتافات «آه، آه!» وأخيراً يخرج الجميع مضغوطين وتبقى الحجرة فارغة)..

المشهد الثاني

(خليستاكوف وحده يخرج والنعاس في عينيه).

أظنّني نمت نومة لا بأس بها. من أين جاءوا بهذه الحشايا وفرشات الريش؟ جعلتنـي أتصبّب عرقاً. أظّنهم بالأمس دسّوا لي شيئاً ما على الفطـور. في رأسـي مطارق حتّى الآن. من الممكـن قضاء وقت ممتع هنـا حسب مـا أرى. أحبّ حسـن المعاملة والكـرم. ويعجبني أكثر بصراحة، أن أُضيَّف عن نقاء سريرة، لا عن مصلحة. ابنة حاكم المدينة مليحة جدّاً، والأم أيضاً امرأة من الممكن أن... لا، لا أعرف، ولكن مثل هذه الحياة تعجبني حقاً.

المشهد الثالث

(خليستاكوف والقاضي أمّوس فيدروفيتش).

أمّوس فيدروفيتش (يدخل، ويتوقّف، ويقول لنفسه): يا ربّ، يا ربّ، اجعلها تمرّ بسلام، ركبتايّ خائرتان، (بصوت مسموع، وقد انتصب بقامته، ووضع يده على سيفه).. لي الشرف أن أقدم نفسي: قاضي محكمة القضاء، الموظّف من الدرجة الثامنة، ليابكين تيابكين.

خليستاكوف: تفضّل، اجلسن إذاً، فأنت قاضٍ هنا؟

أمّوس فيدروفيتش: منذ عام ١٨١٦ انتخبني النبلاء لفترة ثلاثة أعوام، ثم أعادوا انتخابي ثلاث مرات فبقيت في المنصب إلى هذا الحين.

خليستاكوف: يعني منصب القاضي نافع؟

أمّوس فيدروفيتش: خلال تسع سنوات رشحّت لوسام فلاديمير من الدرجة الرابعة بتأييد من جانب الرئاسة. (جانباً). النقود في قبضتي، ولكنّني أحسّ بها تلسعني كاللهب.

خليستاكوف: وسام فلاديمير يعجبني، ولكن إعجابي بوسام آنا آندريفنا من الدرجة الثالثة كان أقل.

أمّوس فيدروفيتش: (يدفع قبضته المضمومة إلى الأمام قليلاً. جانباً). يا إلهي، لا أعرف أين أجلس، كأنّني على جمر متّقد.

خليستاكوف: ما هذا الذي في يدك؟

أمّوس فيدروفيتش: (يرتبك ويسقط أوراق النقد على الأرض). لا شيء.

خليستاكوف: كيف لا شيء؟ سقطت نقود، كما أرى.

أمّوس فيدروفيتش: (يرتجف بكلّ كيانه). لا، مطلقاً! (جانباً). ياربّي! سأحاكم. جاءوا بعربة لأخذي.

خليستاكوف: (يرفعها) نعم، هذه نقود.

أمّوس فيدروفيتش: (جانباً). آوه، كلّ شيء انتهى. وقعت! وقعت!

خليستاكوف: هل تعرف؟ أقرضني إياها.

أمّوس فيدروفيتش: (بعجالة) بالطبع، بالطبع... بكلّ سرور (جانباً) أجرأ، أجرأ! أنقذيني، أيّتها الأمّ الطاهرة!

خليستاكوف: نفدت نقودي كلها أثناء السفر.... أنفقتها على هذا أو ذاك... على كلّ حال، سأرسلها لك من القرية حالاً.

أمّوس فيدروفيتش: أرجوكم، كيف يمكن هذا! هذا شرف عظيم بحدّ ذاته... أحاول أن أكون عند حسن الظنّ، بقوايّ الهزيلة، بالطبع، وبغيرتي، وتحمّسي إلى الرؤساء (ينهض من المقعد، ويقف بهيئة استعداد، وذراعاه مصفوفتان على جانبيه).. لا أجسر على إزعاجكم بوجودي أكثر من ذلك، هل هناك أي أمر؟..

خليستاكوف: أي أمر؟

أمّوس فيدروفيتش: أقصد هل لديكم أي أمر لمحكمة القضاء هنا؟

خليستاكوف: و لِمَ؟ لم أعد بحاجة إليها.

أمّوس فيدروفيتش: (ينحني، وينصرف. جانباً) انتصرنا!

خليستاكوف (لدى خروجه): القاضي رجل جيّد!...

المشهد الرابع

(خليستاكـوف، يدخـل مأمور البريد، منتصب الجـذع في بزّته الرسمية، ممسكاً سيفه).

مأمور البريد: لي الشـرف أن أقدّم نفسي: مأمور البريد، الموظّف بالدرجة السابعة شبيكين.

خليستاكـوف: ... آ.... تفضّـل! أحبّ كثيراً العشْرَة اللطيفة. اجلس. أنت تقيم هنا دائماً؟

مأمور البريد: نعم.

خليستاكوف: مدينتكم تعجبني. ليست كثيرة السكّان. بالطبع. ولكن هل هذا يهمّ؟ ليست هي العاصمة. أليس صحيحاً إنّها ليست العاصمة؟

مأمور البريد: صحيح كليّاً.

خليستاكوف: في العاصمة وحدها لغة الكلام المهذّبة، ولا يوجد فيها بطّ الريف السارح، ألا توافقني على هذا الرأي؟

مأمور البريد: بالضبط. (جانباً). لا يبدو أنّه يستنكف أبداً. يسأل عن كلّ شيء.

خليستاكـوف: من الممكن العيش بهنـاء في المدينة الصغيرة أيضاً أليس كذلك؟ قل لي بصراحة.

مأمور البريد: بالضبط.

خليستاكوف: ما هو الضروري، في رأيي؟ الضروري أن يحترمك الآخرون ويحبّونك بإخلاص. أليس كذلك؟

مأمور البريد: صحيح تماماً.

خليستاكـوف: أنا، بصراحة، مسرور لأنّك متّفق معي في الرأي، الناسـ تنعتني بغرابة الأطـوار، بالطبع، ولكن هـذا خلقي (ينظر في عينيه، ويتكلّم في سرّه) سأطلب من مأمور البريد هذا قرضاً (بصوت مسمـوع).. أي ظرف غريب حصل معـي. نفدت نقودي كلها في الطريق. ألا تقدر أن تقرضني ثلاثمئة روبل؟

مأمـور البريد: وكيف لا؟ هذه سعـادة عظمى بالنسبة لي، ها هي تفضل. أنا مستعدّ لأن أخدم بكلّ قلبي.

خليستاكوف: شاكر كثيراً. أنا، بصراحة، أكره أن أُقتّر على نفسي في السفر. ثمّ لماذا؟ أليس كذلك؟

مأمور البريد: بالضبط. (ينهض، ويأخذ هيئة الاستعداد، يضع يده على السيف). لا أجروُ على إزعاجكم بحضوري، أكثر من هذا. هل لديكم أية ملاحظة بخصوص إدارة البريد؟

خليستاكوف: لا ، لا شيء.

(مأمور البريد ينحني، ويخرج).

(يشعـل سيكارة). مأمور البريد أيضاً يبـدو لي رجلاً جيّداً جدّاً. خدوم، على أقلّ تقدير، أنا أحبّ مثل هؤلاء.

المشهد الخامس

(خليستاكوف و لوكا لوكيتش الذي انقذف من الباب تقريباً، من الخلف يتردد صوت يكاد يكون مسموعاً «لماذا تتخوف؟»).

لـوكا لوكيتشـ (ينتصب ولكـن ليس بـدون ارتجـاف، ممسكاً السيـف): لي الشـرف بـأن أقـدم نفسي. ناظـر المدرسـة، الموظّف بالدرجة التاسعة خلوبوف.

خليستاكـوف: تفضّل، اجلس، اجلس! ألا تريد سيكارة؟ (يقدم له سيكارة)..

لـوكا لوكيتش (في سره وبـتردّد): أية مفاجئة! لم يخطر هذا على بالي قطّ. آخذها أو لا آخذها؟

خليستاكـوف: خذهـا، خذها. إنهـا سيكارة معتـبرة، بالطبع، ليست مثل السكائر في بطرسبـورغ. كنت أدخن هناك، يا مولاي، سكائر، المئة منهـا بخمسة وعشرين روبلاً. ما ألذها، تدخينها متعة، هذه نار، أشعل. (يقدم له عود شمعة).

(لوكا لوكيتش يحاول أن يشعل السيكارة، وهو يرتجف بكليته).

خليستاكوف: ولكن ليس من هذا الطرف!

لوكا لوكيتشـ (تسقط منه السيكارة من الذعـر. يبصق، ويلوِّح بذراعه. مـع نفسه): تخطف الشيطان كلّ شيء! يقتلني هذا التهيّب اللعين!

خليستاكوف: لستَ مولعاً بالسكائر، كما أرى، ولكنّها بصراحة موطـن الضعف فيَّ. و(بخصوص الجنس اللطيف أيضاً لا أستطيع أن

أمـرَّ به مرَّ الكرام. فكيف أنت؟ مَـنْ يُعجبك أكثر، سوداوات الشعر أم الشقراوات؟

(لوكا لوكيتش يتحيَّر تماماً ولا يعرف ماذا يقول).

خليستاكـوف: لا، قـل لي بصراحـة، سـودوات الشعـر أم الشقراوات؟

لوكا لوكيتش: هذا كثير عليَّ.

خليستاكوف: لا، لا، لا تتهرَّب! لابد أن أستأنس بذوقك.

لوكا لوكيتشـ: أجرؤ على القول.... (جانبـاً). ولكن لا أدري ماذا أقول!

خليستاكـوف: ها! ها! لا تريـد أن تقول. ربّمـا أوقعتك إحدى سوداوات الشعر في مقلب صغير. اعترف، هل أوقعتك؟

(لوكا لوكيتش يلزم الصمت).

ها! ها! احمررت. انظر! انظر! لماذا لا تتكلّم؟

لـوكا لوكيتشـ: أخذتنـي الرهبة، يا صاحـب النبـا... المعا... القداس... (جانباً) خانني لساني اللعين! خانني!

خليستاكوف: الرهبة؟ في عينـي ما يوحي بالرهبة، حقّاً أعرف، على أقـلّ تقدير، إن أيّة امـرأة لا تستطيع أن تصمـد أمامهما، أليس كذلك؟

لوكا لوكيتش: بالضبط.

خليستاكـوف: طيّب، حصل لي ظـرف عجيب، بددتُ نقودي أثناء السفر كلياً. ألا تقدر أن تقرضني ثلاثمئة روبل؟

لـوكا لوكيتشـ (يختطف جيبيه، مع نفسـه): مصيبة، إن لم يكن معي! موجود، موجود! (يخرج الفلوس، ويقدّمها مرتجفاً).

خليستاكوف: مع الشكر الجزيل.

لـوكا لوكيتشـس (منتصباً ممسـكاً بسيفه): لا أجـرؤ أن أزعجكم بوجودي أكثر.

خليستاكوف: مع السلامة.

لوكا لوكيتشـس (يبتعد فيما يشبه الركض. جانبـاً). طيّب، حمداً لله، أظنّه لا يزور المدرسة، الآن!

المشهد السادس

(خليستاكوف وأرتيمي فيليبوفيتش منتصباً في هيئة استعداد، واضعاً يده على سيفه).

أرتيمي فيليبوفيتش: لي الشرف أن أقدّم نفسي، راعي المؤسّسات الخيرية، الموظّف بالدرجة السابعة زيملانيكا.

خليستاكوف: مرحباً، اجلس، أرجوك.

أرتيمي فيليبوفيتش: كان لي الشرف بمرافقتكم واستقبالكم شخصياً في مؤسّساتي الخيرية المناطة بي.

خليستاكوف: ها، نعم! أتذكّر. ضيفتني على فطور جيّد جداً.

أرتيمي فيليبوفيتش: مسرور في السعي لخدمة الوطن.

خليستاكوف: هذا موطن ضعفي، بصراحة، أحبّ الطعام الجيّد. قل لي، من فضلك، يبدو لي أنّك كنت في الأمس أقصر قامة بقليل، أليس كذلك؟

أرتيمي فيليبوفيتش: محتمل جدّاً، (بعد صمت قصير).. أستطيع أن أقول إنّني أبذل قصار جهدي، وأؤدي واجبي بإخلاص. (يتقدّم قليلاً مع مقعده، ويتكلّم بصوت خافض). ها هو مأمور البريد هنا لا يفعل أي شيء إطلاقاً. كلّ أعماله في حالة من الإهمال الشديد، والإرساليات تتأخّر... تفضّل. وتأكّد بنفسك خصيصاً... وكذلك القاضي الذي كان هنا قبل مجيئي، ليس له همّ غير صيد الأرانب، ويحتفظ بكلابه في غرفة دائرته. وتصرّفاته، إذا كنت صريحاً معكم وأنا بالطبع، ملزم لأن أفعل لمصلحة الوطن، ولو أنّه قريب لي وصديق

تصرّفاتـه معيبة تماماً. يوجد هنا مالك أراضٍ، يُدعى دوبتشينسكي وهو الذي سبـق أن رأيته. ما إن يخرج دوبتشينسكي هذا من البيت حتّى يكون عند زوجته. أنـا مستعدّ إلى أن أقسـم على ذلك. انظر إلى أطفاله خصيصاً، لن تجد واحداً منهم يشبه دوبتشينسكي، ولكن الجميع، حتى البنت الصغيرة، يشبهون القاضي شبه الحبّة للحبّة.

خليستاكوف: يا لها من مفاجأة، بينما لم أكن أظنّ ذلك قطّ.

أرتيمـي فيليبوفيتشـ: وناظر المدرسـة أيضـاً... لا أعرف كيف أمكن للرئاسة أن تأتمنـه على مثل هذه الوظيفة. إنّه أسوأ من اليعاقبة. يلقّن الشبيبة قواعد الخروج على ما هو قائم بشكل يصعب تصويره. أليس من الأفضل أن أضع كل هذا على الورق؟ ماذا تأمر؟

خليستاكـوف: طيّب، وليكن على الورق، هـذا مريح لي جدّاً. أنـا أحبّ أن أقرأ في أوقـات الضجر شيئاً مسلياً، ما اسم عائلتك؟ أنا أنسى دائماً.

أرتيمي فيليبوفيتش: زيملانيكا.

خليستاكوف: آها، نعم! زيملانيكا. قل لي من فضلك، هل لديك أولاد؟

أرتيمي فيليبوفيتش: بالطبع! خمسة. اثنان منهم راشدان.

خليستاكوف: راشدان، تصور! وكيف... كيف هم بـ...

أرتيمي فيليبوفيتش: يعني تريدون أن تسألوا كيف هم بالأسماء؟

خليستاكوف: نعم، كيف هم بالأسماء؟

أرتيمي فيليبوفيتش: نيقولاي، غيفان، يليزافيتا، ماريا، بيريبيتويا.

خليستاكوف: هذا لطيف.

أرتيمي فيليبوفيتش: لا أجـرؤ على إزعاجكم بحضوري، وأخذ وقتكم المنذور للواجبات المقدسة. (ينحني ليخرج).

خليستاكـوف: (يرافقه)، لا، لا بأس! كلّ ما قلته مضحك جدّاً. تفضّـل، تعال في وقـت آخر أيضـاً... أنا أحبّ ذلك كثـيراً (يعود، وحـين يفتح البـاب يصيح في أثـره) هاي، أنت! مـا اسمك؟ أنسى دائماً ما اسمك واسم أبيك.

أرتيمي فيليبوفيتش: أرتيمي فيليبوفيتش.

خليستاكـوف: اعمـل معروفاً، يـا أرتيمـي فيليبوفيتش، حصل لي ظـرف غريـب. أنفقت نقودي كلياً أثناء السفـر. هل لديك نقود لتقرضني أربعمئة روبل؟

أرتيمي فيليبوفيتش: لديَّ.

خليستاكوف: يا للمصادفة الحسنة حقّاً. شكراً جزيلاً.

المشهد السابع

(**خليستاكوف وبوبتشينسكي ودوبتشينسكي**).

بوبتشينسكي: لي الشرف أن أقدم نفسي، بيتربن إيفان بوبتشينسكي من أهل هذه المدينة.

دوبتشينسكي: مالك الأراضي بيتربن إيفان دوبتشينسكي.

خليستاكوف: آه، رأيتك من قبل، أظنّك قد وقعت في حينها؟ كيف حال أنفك؟

بوبتشينسكي: الحمد لله! لا تقلقوا أنفسكم. نشف. هو الآن ناشف تماماً.

خليستاكوف: لطيف أنّه ناشف. أنا مسرور، (فجأة وبلهجة فيها حدة).. هل لديك فلوس؟

بوبتشينسكي: فلوس؟ أي فلوس؟

خليستاكوف: ألف روبل قرضاً.

بوبتشينسكي: لا يوجد هذا المبلغ، والله، ربّما لديك، يا بيتر إيفانوفيتش؟

دوبتشينسكي: ليس معي، لأن فلوسي، لو تفضّلتم أن تعرفوا، موظّفة في الصندوق الخيري.

خليستاكوف: طيّب، إذا لا يوجد ألف، فمائة روبل.

بوبتشينسكي: (يفتّش في جيبه). هل معك، يا بيتر إيفانوفيتش مائة روبل؟ ليس معي غير أربعين من النقود الورقية.

دوبتشينسكي (ينظر في محفظة نقوده الورقية): خمسة وعشرين روبلاً فقط.

بوبتشينسكي: ولكن فتّش أكثر، يا بيتر إيفانوفيتش! أنا أعرف، عندك في الجانب الأيمن من جيبك فتق، لابدّ أن سقط شيء في فتق الجيب.

دوبتشينسكي: في الفتق أيضاً لا يوجد، بالفعل.

خليستاكوف: طيّب، لا يهمّ. مجرد سؤال. طيّب، وليكن خمسة وستين روبلاً. هذا لا يهمّ. (يأخذ النقود).

دوبتشينسكي: أجرؤ أن أترجاكم بخصوص مسألة دقيقة جدّاً.

خليستاكوف: ما هي؟

دوبتشينسكي: المسألة ذات طابع حسّاس جدّاً. ابني الكبير، إذا سمحتم بالقول، أنجبتُه قبل الزواج.

خليستاكوف: صحيح؟

دوبتشينسكي: أقصد، هذا على حدّ تعبير الناس فقط. فقد أنجبته تماماً، وكأنّني متزوّج، وكلّ ذلك قد توّجته فيما بعد بعرى الزواج الوثقى، وحسب الأصول وأنا أريد الآن، إذا سمحتم، أن يكون ابني الشرعي كلياً، وأن يحمل اللقب الذي أحمله "دوبتشينسكي".

خليستاكوف: طيّب، ليحمله! هذا ممكن!

دوبتشينسكي: ما كنت سأزعجكم، ولكن خسارة أن تضيع قابلياته. غلام يبشّر بآمال عظيمة. يستطيع أن ينشد أشعاراً متنوّعة عن ظهر قلب. وإذا وقعت في يده سكّين صنع على الفور لعبة تمثّل عربة صغيرة بمهارة فائقة وفتنة ساحرة. هذا بيتر إيفانوفيتش يعرف ذلك أيضاً.

بوبتشينسكي: نعم، عنده قابليات كبيرة.

خليستاكوف: طيّب، طيّب! سأحاول في هذا الخصوص، سأتكلّم.... آمل... كلّ ذلك سيتمّ، نعم، نعم... (مخاطباً بوبتشينسكي) هل عندك شيء تقوله لي؟

بوبتشينسكي: طبعاً عندي رجاء متواضع جدّاً.

خليستاكوف: ما هوّ؟

بوبتشينسكي: أرجوكم بكلّ خضوع أن تخبروا، حال وصولكم إلى بطرسبورغ، جميع الوجهاء على اختلافهم، والأعيان، والادميرالات، بأن في المدينة الفلانية، يا أصحاب الفضيلة أو الفخامة، أو ما إلى ذلك، يعيش بيتر إيفانوفيتش بوبتشينسكي.. قل لهم هكذا: "يعيش بيتر إيفانوفيتش بوبتشينسكي".

خليستاكوف: حسن جدّاً.

بوبتشينسكي: وإذا صادف وأن التقيت بمولانا القيصر، فقل لمولانا أيضاً إن في المدينة الفلانية، يا صاحب الجلالة، يعيش بيتر إيفانوفيتش بوبتشينسكي.

خليستاكوف: حسن جدّاً.

دوبتشينسكي: أعذرونا على مضايقتكم بحضورنا.

بوبتشينسكي: أعذرونا على مضايقتكم بحضورنا.

خليستاكوف: لا بأس، لا بأس، مسرور جدّاً، (يدفعهما للخروج).

المشهد الثامن

(خليستاكوف وحده).

الموظّفون كثيرون هنا. ويبدو لي، على كلّ حال، أنّهم يعتبرونني رجل دولة، الظاهر أنّني تباهيت كثيراً أمامهم بالأمس. أي حمقى هؤلاء! سأكتب عن كلّ شيء لتريا بيتشكين في بطرسبورغ. فهو يدبج مقالات. فليلعَبْهم بشكل محترم. هاي، يا أوسيب أعطني ورقة وحبراً.

(أوسيب يطلّ من الباب، وينطق «حالاً»).

تريا بيتشكين هذا شديد إذا وقع أحد في يده، لا يرحم حتّى أباه، ويحبّ الفلوس أيضاً، هؤلاء الموظفون أناس طيّبون على العموم. والصفة اللطيفة فيهم أنّهم أقرضوني. ترى كم عندي من الفلوس؟ لأنظر من جديد، للتسلية، ثلاثمئة من القاضي، وثلاثمئة من مأمور البريد، ستمئة، سبعمئة، ثمانمائة... أية ورقة مدهنة هذه! ثمانمئة، تسعمئة.... أهوه! تعدّت الألف... تعال نلعب الآن، يا رائد، آه، لو وقعت في يديَّ الآن! سنرى من يغلب الآخر.

المشهد التاسع

(خليستاكوف وأوسيب ومعه محبرة وورقة).

خليستاكوف: هل ترى، يا أحمق، كيف يستضيفونني ويستقبلونني؟ (يبدأ بالكتابة).

أوسيب: نعم، والحمد لله! ولكنْ هل تدرون، يا إيفان الكسندروفيتش؟

خليستاكوف: ماذا؟

أوسيب: لنرحل من هنا! آن الأوان، وحقّ الربّ!

خليستاكوف (وهو يكتب): هراء! ولماذا!..

أوسيب: هكذا! كفانا شرهم جميعاً! لهوتم هنا يومين، وكفى. فلماذا تطيلون علاقتكم بهم؟ أبصقوا عليهم! أخشى أن يطلّ شخص آخر غفلة... بحقّ الربّ، يا إيفان الكسندروفيتش! فليعطونا خيولاً ممتازة، وسنطير بها.

خليستاكوف (وهو يكتب): لا ، أحبّ أن أعيش هنا أكثر، ليكن في الغد!

أوسيب: ولَمَ في الغد! لنغادر، وحقّ الربّ، يا إيفان الكسندروفيتشَ! صحيح أنهم يضيفونك ضيافة عظيمة، ولكن الأحسن أن نرحل بأقرب وقت ممكن. هم، في الحقيقة، تصوّروكم شخصاً آخر... والدكم سيغضب من تأخّرنا هذا... كم جميل أن نسرع بالخيول، حقّاً! سيعطوننا هنا خيولاً معتبرة، بالتأكيد.

خليستاكوف: (يكتب) حسناً. ولكن احمل هذه الرسالة أوّلاً،

وفي طريقك خذ استمارة سفر أيضاً. واحرص على أن تكون الخيول جيّدة! أخبر الحوذية أنّني سأوزّع على كل واحد منهم روبلاً فضياً، حتّى ينطلقوا كساعي الحكومة، ويغنوا الأغاني أيضاً! (يستمر في الكتابة).. أتصوّر أن ترياپيتشكين سيموت من الضحك...

أوسيب: سأرسلها مع شخص من عندهم، يا سيّدي، فالأحسن أن أتفرّغ أنا لإعداد الحقائب، حتى لا يضيع الوقت عبثاً.

خليستاكوف: (يكتب): جيّد. ولكن اجلب شمعة.

أوسيب (يخرج ويتكلّم وراء المسرح): هاي، اسمع، يا أخ! خذ الرسالة إلى البريد، وقل لمأمور البريد أن يقبلها بلا فلوس، ثمّ أخبره أن يجلب إلى السيد فوراً أحسن ثلاثة خيول، من خيول البريد الحكومي المستعجل. وقل له: السيّد لا يدفع أجرة الخيول، لأنّ المهمة حكومية. وليسرع بكلّ هذا، وإلا فسيغضب السيّد. قف، تمهّل، لم تكمّل الرسالة بعد.

خليستاكوف (مستمراً في الكتابة): تُرى أين يعيش الآن في شارع البريد أم في شارع الحمص؟ هو أيضاً يجب أن يتنقّل كثيراً من سكن إلى آخر، دون أن يدفع الأجرة بالكامل. أكتب على عنوان شارع البريد، تخميناً. (يطوي الرسالة ويكتب العنوان).

(أوسيب يجلب شمعة. خليستاكوف يدمغ الرسالة. في ذلك الوقت يسمع صوت ديرجيموردا: «إلى أين، يا أبا لحية؟ قلت لك أمروني أن لا أسمح لأحد بالدخول»).

(يعطي الرسالة لأوسيب): خذ، ابعثها.

أصوات التجّار: اسمح لنا، يا حضرة! لن تقدر أن تمنعنا. فقد جئنا في قضية.

صوت ديرجيموردا: انصرفوا، انصرفوا! لا يستقبل أحداً. نائم.

(الضوضاء تزداد).

خليستاكوف: ماذا هناك، يا أوسيب؟ انظر ما هذه الضوضاء؟

أوسيب (ينظر من النافذة): تجّار يريدون الدخول، ولكن الشرطي يمنعهم. يلوّحون بأوراق، يبدو أنّهم يريدون مقابلتكم.

خليستاكوف (يقترب من النافذة): ماذا تريدون، يا أفاضل؟

أصوات التجار: مقابلة حضرتكم، قولوا لهم، يا مولانا، أن يقبلوا العريضة.

خليستاكوف: أدخلوهم، أدخلوهم! ليدخلوا. أوسيب قل لهم ليدخلوا.

(أوسيب يخرج).

(يتلقى العرائض من النافذة، يبسّط واحدة منها، ويقرأ). «إلى صاحب النبالة والمقام الرفيع السيّد مدير الخزانة من التاجر عبدولين....» الشيطان يعرف ما هذا. حتّى هذه الوظيفة لا وجود لها.

المشهد العاشر

(خليستاكوف والتجار ومعهم سلّة نبيذ ورؤوس سكّر).

خليستاكوف: ماذا، يا أفاضل؟

التجّار: عندنا رجاء لسيادتكم.

خليستاكوف: ماذا تريدون؟

التجّار: أشفق علينا يا مولانا؟ نتحمّل المهانة بدون أي سبب.

خليستاكوف: ممّن؟

أحد التجّار: من حاكم المدينة هنا؟ لم نشهد مثل هذا الحاكم قطّ، يا مولانا. يعرضنا لمظالم لا يمكن أن توصف. أنهكنا كلياً بأوامر إيواء الجنود، حتّى لا نعرف أين نولّي بوجوهنا. تصرّفاته لا تتناسب مع العطاء. يمسك باللحية، ويقول: «آه منك، يا تتري!» وحقّ الربّ! وليتنا أسأنا إليه بشيء! بل نقوم بالواجب دائماً. لا نبخل عليه بما ينبغي من الكسوة لزوجته ولابنته. ولكن كل هذا لا يكفيه، صدّقني! يدخل الدكّان، ويأخذ كلّ ما تقع عليه يداه. ويرى لفّة الجوخ فيقول: «هذا جوخ فاخر، يا عزيزي، احمله إلى بيتي». وأحمل اللفّة مضطراً. وفي اللفّة ما لا يقلّ عن خمسين ذراعاً.

خليستاكوف: معقول؟ آه، أي نصّاب هو!

التجّار: والله، لا أحد يتذكّر حاكم لمدينة مثله. حالما نراه نُخفي كلّ شيء في الدكّان. لأنه لا يقتصر على أخذ الأطايب فقط، بل ينتش أيّة بضاعة تافهة، حتّى الإجاصّ المجفف الذي يظلّ سبعة أعوام وهو في برميله، والذي لا يأكله حتّى الخادم، يدسّ حاكمنا يده في البرميل

ويغرف منه غرفة كاملة. ونحن نعرف أن قديسه الشفيع هو أنتون، فنحمل له في عيد هذا القدّيس أنتون كلّ ما يخطر وما لا يخطر على البال. ومع ذلك لا يشبع، ويقول قدّموا لي الهدايا في عيد القديس أونوفري أيضاً. فماذا نفعل؟ نقدّم له الهدايا في عيد القديس أونوفري أيضاً.

خليستاكوف: هذا حرامي تماماً.

التجّار: بالضبط، ولكن حاول أن تعترض عليه. فسيفرض عليك إيواء فوج كامل في بيتك. وإذا حصل شيء لا يحبه، يأمر بغلق الباب. يقول: «لن أعاقبك عقاباً جسدياً، أو أعرضك لتعذيب، القانون يحرم ذلك، ولكن سأجعلك تأكل الفسيخ، يا حضرة المحترم!..»

خليستاكوف: آه، أي نصّاب هو! هذا يستحق النفي إلى سيبيريا رأساً.

التجّار: إلى أي مكان تشاؤون فسيكون ذلك أحسن، فقط أن ينزاح عنّا. لا تستنكف الخبز والملح، يا مولانا، جئناك بشيء من السكّر وسلّة صغيرة من النبيذ.

خليستاكوف: لا، أبعدوا ذلك عن أذهانكم. أنا لا أقبل قط أية رشوة. ولكن لو عرضتم عليَّ، مثلاً، أن تقرضوني ثلاثمئة روبل، فإنّ ذلك شيء آخر تماماً. أستطيع قبول القروض.

التجّار: تفضّل، يا مولانا! (يخرجون الفلوس).. ولكن لماذا ثلاثمئة. خذ خمسمئة وساعِدنا. تساهل فقط.

خليستاكوف: تفضّلوا، لا اعتراض لي على القروض. سآخذها.

التجّار (يحملون له النقود على صينية من فضّة): تفضّلوا. خذوا الصينية معها.

خليستاكوف: والصينية ممكن أيضاً.

التجّار (ينحنون): وخذوا السكّر دفعة واحدة.

خليستاكوف: لا. لا رشوة على الإطلاق...

أوسيب: يا صاحب النبالة! لماذا لا تأخذونه؟ خذوه! كلّ شيء في السفر ينفع، هاتوا رؤوس السكّر، والسلة! هاتوا كلّ شيء، كلّ شيء سينفع. ماذا هناك؟ حبـل؟ هاتوا الحبل هو الآخر، سينفع في السفر. تنكسر العربة أو ما إلى ذلك. يمكن شدّها به.

التجّـار: ابذلـوا جهدكم، يا صاحـب السيـادة. إذا كنتم أنتم لا تقدرون علـى تحقيق رجائنا، فإنّنا لا نعرف مـاذا نصنع. لا نرى أي مخرج!..

خليستاكوف: حتماً، حتماً، سأحاول.

(التجار يخرجون، يسمع صوت امرأة: «لا، لن تجسر على منعي من الدخول! سأشكوك له، لا تدفعني هكذا، أنت توجعني!»).

خليستاكوف: مَنْ هناك؟ (يقترب من النافذة).. ماذا بك يا عمة؟

صوتـا امرأتين: عطفـك يا محترم، رجاء! نرجوكـم، يا مولانا أن تسمعونا.

خليستاكوف (عند النافذة): اتركوهما تدخلان.

المشهد الحادي عشر

(خليستاكوف، زوجة السمكري، زوجة ضابط الصف).

زوجة السمكري (تنحني إلى الأرض): استرحم....

زوجة ضابط الصفّ: أتظلّم إليكم...

خليستاكوف: ولكن مَنْ أنتما؟

زوجة ضابط الصفّ: أنا إيفانوفا زوجة ضابط الصفّ.

زوجة السمكري: أنا فيفرونيا بيتروفنا بوشليبكينا زوجة السمكري، من أهل هذه المدينة، يا مولانا...

خليستاكوف: على مهلك، قولي أنت أوّلاً: ماذا تريدين؟

زوجة السمكري: أتظلّم إليكم. جئت أشكو من حاكم المدينة! عسى الله أن ينزل عليه مصائب الدنيا كلّها! وأن لا يريه أي خير، لا هو، النصّاب، ولا أبناءه، ولا أعمامه ولا عمّاته!

خليستاكوف: ولماذا؟

زوجة السمكري: أمر بتجنيد زوجي. مع أنّ النوبة لم تحلّ علينا! يا للنصّاب حاكم المدينة! والقانون أيضاً لا يجيز تجنيد المتزوّج.

خليستاكوف: وكيف أمكن أن يفعل ذلك؟

زوجة السمكري: فعل، النصّاب، فعل، عسى الله أن يعذّبه في الدنيا والآخرة! وأن يسلّط البلايا على عمّته، إذا كانت له عمّة، وأن يمحق المحتال أباه، إذا كان ما يزال حيّاً، أو يكتم أنفاسه إلى الأبد، النصّاب! كان يجب أن يجند ابن الخيّاط، فهو سكّير، ولكن أبويه

أعطياه هديّـة كبيرة، فتحول إلى ابن بانتلييفـا، زوجة التاجر. ولكن بانتلييفـا هـذه أرسلت إلى زوجته ثلاث لفّات مـن القماش، فتحوَّل إليَّ. ويقـول لي: «ومـا حاجتك إلى زوج؟ لا ينفعـك الآن» ولكنّني أعرَف منـه إن كان ينفعني أو لا ينفعني. هذا شأني. النصّاب! فيقول لي: «إنّـه لصّ، وإن كان لم يسـرق الآن، ولكنّـه سيسـرق في كلّ الأحوال. وسيجنّدونه على كل حـال في السنة القادمة». ولكن أي شـيء أنا بدون زوج! النصّـاب! أنا إنسانة ضعيفة، الوغد! عسى الله أن لا يري أهله جميعاً أية نعمة في الدنيا! وإذا كان له حماة فـ.....

خليستاكـوف: طيّـب، طيّب، وأنـت (يسير بالعجـوز إلى باب الخروج)..

زوجـة السمكـري (خارجـة): لا تنسَ، يا مولانـا، لتكن بك رحمة!.

زوجة ضابط الصفّ: جئت، يا محترم، لأشكو من حاكم المدينة.

خليستاكوف: والسبب؟ ماذا حدث تكلّمي باختصار.

زوجة ضابط الصفّ: جلدني، يا محترم!

خليستاكوف: كيف؟

زوجـة ضابط الصفّ: عـن طريق الخطأ، يا مـولاي! تشاجرت نسوتنـا في السـوق وتعاركن، ولكن الشرطة تأخّـرت في الحضور. فأمسكتنـي. وكالـت لي بالصاع والـذراع، حتّى ظللـت يومين لا أستطيع الجلوس.

خليستاكوف: وما العمل الآن؟

زوجـة ضابط الصفّ: لا يجدي أي عمل، بالطبع، ولكن أطلب منـه أن يدفع غرامة علـى الخطأ. ما وقع من نصيبـي لا أستطيع ردّه، ولكن الفلوس ستنفعني الآن نفعاً كبيراً.

خليستاكوف: طيّب، طيّب! اذهبي اذهبي. سأصدر أمري.

(من النافذة تطلع أيد تحمل عرائض).

خليستاكوف: ومَنْ بقي هناك؟ (يقترب من النافذة) لا أريد، لا أريد! لا لزوم، لا لزوم! (يبتعد). ضجرت، اللعنة! لا تدع أحداً يدخل، يا أوسيب..

أوسيب (يصيح من النافذة): انصرفوا، انصرفوا! فات الوقت، تعالوا غداً!

(الباب يفتح، ويطلع شخص في معطف من الجوخ الرخيص الخشن، غير حليق اللحية، متورّم الشفة، مشدود الخدّ، وفي الخلف منه يلوح بعض الشخوص).

انصرفوا، انصرفوا، إلى أين؟ (يسند كلتا يديه على كرش الشخص الأوّل، وينقلع معه إلى الرواق، ويصفق الباب خلفه)..

المشهد الثاني عشر

(خليستاكوف و ماريا أنتونوفنا).

ماريا أنتونوفنا: آه!

خليستاكوف: لماذا ارتعبت بهذا الشكل، يا مولاتي؟

ماريا أنتونوفنا: لا، لم أرتعب.

خليستاكوف (يتثنّى): لطفك يا مولاتي، كم أنا مرتاح، لأنّك اعتبرتني الشخص الذي... هل أجرؤ أن أسألكِ: إلى أين كنتِ تنوين أن تذهبي؟

ماريا أنتونوفنا: لم أكن ذاهبة إلى أي مكان، حقاً.

خليستاكوف: ولماذا لم تكوني ذاهبة إلى أي مكان؟

ماريا أنتونوفنا: كنت أفكّر هل ماما هنا....

خليستاكوف: لا، أود أن أعرف لماذا لم تكوني ذاهبة إلى أي مكان؟

ماريا أنتونوفنا: أعقتكم. كنتم مشغولين بأمور مهمّة.

خليستاكوف (يتثنّى): ولكن عينيك أحسن من الأمور المهمّة... لا يمكن أن تعيقيني. لا يمكنكِ بأي شكل من الأشكال. وعلى العكس من ذلك يمكنكِ أن توفري لي متعة.

ماريا أنتونوفنا: أنتم تتكلّمون على طريقة العاصمة.

خليستاكوف: لامرأة رائعة مثلك، هل أجرؤ أن أُسعد بتقديم مقعد لك؟ ولكن لا، أنت تستحقّين عرشاً وليس مقعداً.

ماريــا أنتونوفنــا: حقّــاً، لا أعــرف... كنتُ بحاجــة شديدة إلى الذهاب. (تجلس).

خليستاكوف: ما أجمل منديلك!

ماريا أنتونوفنا: أنتم تهزلون. لا يهمّكم إلا أن تضحكوا من بنات الأقاليم.

خليستاكــوف: كم أودّ، يــا مولاتي، أن أكــون منديلكِ لأطوق عنقكِ الناصع.

ماريــا أنتونوفنا: أنــا لا أفهم أبداً، عمَّ تتكلّمــون: منديل.... أي طقس غريب اليوم!..

خليستاكوف: ولكن شفتيكِ، يا مولاتي، أحسن من أي طقس.

ماريــا أنتونوفنا: كلامكم دائماً بهذا الشــكل... لو أرجوكم أن تكتبــوا أبياتاً من الشعر في الألبوم للذكــرى. أظنّكم تحفظون الكثير من الشعر.

خليستاكــوف: كلّ مــا تريدينه ميسّر لكِ، يــا مولاتي، اطلبي أي أشعار تحبّين.

ماريا أنتونوفنا: أبياتاً جيّدة، جديدة.

خليستاكــوف: خــذي قدر مــا تشائين! أنــا أعــرف الكثير من الأشعار.

ماريا أنتونوفنا: طيّب، قل لي أي الأشعار ستكتب لي؟

خليستاكوف: وما الحاجة إلى هذا الكلام؟ أنا أعرفها بدون ذلك.

ماريا أنتونوفنا: أنا أحبّها كثيراً.

خليستاكــوف: وعنــدي الكثير مــن أصنافها، طيّــب، تفضلي، خذي هذا البيت على الأقل. «أوه، يا إنسان، يا مَنْ تتذمّر من الربّ، عند الضيــم» وأبيات أخرى... لا أستطيــع أن أتذكّرها الآن. وعلى

العمـوم كلّ ذلك لا يعني شيئاً، الأحســن أن أقدّم لكِ بدلاً من هذا، حبّي الذي من نظرتك... (يقرب المقعد).

ماريـا أنتونوفنـا: حبّ! أنا لا أفهم الحـبّ... لم أعرف قطّ ماهو الحبّ....(تبعد مقعدها).

خليستاكـوف: ولمـاذا تبعدين مقعـدكِ؟ الأحســن أن نجلس عن قرب.

ماريا أنتونوفنا (تبتعد): ولماذا عن قرب؟ لا يهمّ عن بعد أيضاً.

خليستاكوف (يقترب): ولماذا عن بعد؟ لا يهمّ عن قرب أيضاً.

ماريا أنتونوفنا (تبتعد): ولكن لِمَ هذا؟

خليستاكـوف (يقـترب): هذا مجـرد توهّم منكِ أنّـه عن قرب، ولكــن تخيلي أنّه عن بعد. كم سأكـون سعيداً، يا آنستي، لو أعصركِ بين ذراعيّ!

ماريا أنتونوفنا (تنظر من النافذة): ما هذا الذي أحسبه طار هناك؟ عقعق أم طائر آخر؟

خليستاكوف (يقبّل كتفها، وينظر من النافذة): هذا عقعق.

ماريـا أنتونوفنـا (تنهض بحنـق): لا، هـذا أكثر مـن اللازم... وقاحة!...

خليستاكـوف (يمسكها): اعذريني، يا آنستـي، فعلت ذلك عن حبّ، عن حبّ بالضبط.

ماريـا أنتونوفنا: أنتم تعتبرونني من بنـات الأقاليم... (تحاول أن تخرج).

خليستاكوف (مـا يزال ممسكاً بها): عن حـبّ، حقّاً عن حبّ. مجـرّد مزاح، يا ماريا أنتونوفنا فلا تزعلي، أنا مستعدّ أن أركع ملتمساً المغفرة منكِ. (يركع) اغفري لي، اغفري لي! هذا أنتِ ترينني راكعاً.

المشهد الثالث عشر

(الشخصان ذاتهما مع آنا آندرييفنا)

آنا آندرييفنا (وقد رأت خليستاكوف راكعاً): آه، ما هذا المنظر!

خليستاكوف (ينهض): اللعنة على الشيطان!

آنا آندرييفنا (لابنتها): ما يعني هذا، يا آنسة؟ ما هذه التصرّفات؟

ماريا أنتونوفنا: أنا، يا ماما...

آنا آندرييفنا: اخرجي من هنا، تسمعين، اخرجي، اخرجي! ولا تجسري أن تريني وجهك.

(ماريا أنتونوفنا تخرج دامعة العينين).

اسمحوا لي بصراحة، أنا مندهشة...

خليستاكوف (جانباً): وهي أيضاً لذيذة جداً، مليحة جدّاً، (يركع) مولاتي، ها أنتِ ترينني أحترق من الحب.

آنا آندرييفنا: كيف هذا، تركعون؟ آه، قوموا، قوموا! أرضية الحجرة غير نظيفة كلّياً.

خليستاكوف: لا، بل أركع، لابدَّ أن أركع. أريد أن أعرف ما المكتوب لي، أن أحيا أو أن أموت.

آنا آندرييفنا: ولكن اعذروني، ما أزال غير فاهمة كلماتكم تماماً. أنتم، إذا لم أخطئ، تريدون أن تخطبوا ابنتي.

خليستاكوف: لا، بل واقع في غرامكِ. حياتي معلقة بشعرة،

وإذا لا تتوّجـين حبّـي المقيم فلسـت أهلاً لوجودي علـى الأرض.
أطلب يدكِ، واللهب يجتاح صدري.

آنـا آندريفنـا: ولكن اسمحـوا أن أذكركم بأنّنـي إلى حدّ ما... متزوّجة.

خليستاكوف: هذا لا يعني شيئاً! لا فرق في الحبّ! قال كارامزين «القوانين تُـدان» سنفرّ تحت ضجيج النافورة... أطلب يدك. أطلب يدك!.

المشهد الرابع عشر

(الشخصان ذاتهما و ماريا أنتونوفنا تدخل راكضة فجأة).

ماريـا أنتونوفنـا: مامـا، بابـا قال....(تصيـح بعـد أن تـرى خليستاكوف راكعاً) آه، ما هذا المنظر!

آنـا آندرييفنـا: ماذا بكِ؟ ما هذا الطيشـ! دخلت فجأة تركضين كالقطـة المخبولـة. أي شيء مدهش وجدت؟ مـاذا خطر في بالكِ؟ أنـتِ كطفلة في الثالثة، حقّاً، لا يبدو عليهـا إطلاقاً أنها بلغت الثامنة عشـرة. لا أدري متى ستكونـين أعقل، متى ستتصرّفـين كآنسة على حـظ معتبر من الثقافة والتربية، متى ستعرفين ما هي الأصول الحميدة والرصانة في السلوك.

ماريا أنتونوفنـا (من خلال الدموع): مامـا، في الحقيقة، لم أكن أعرف......

آنـا آندرييفنا: دائماً عندكِ هوس في رأسكِ. تأخذين القدوة من بنـات ليابيكـن تيابكين. لمـاذا تنظرين إليهنّ؟ لا حاجـة لأن تنظري إليهنّ. عندكِ قدوات أخـرى. أمامك أمّك. عليكِ أن تأخذي بهذه القدوات.

خليستاكـوف (يمسك يد الابنة): آنـا آندرييفنا لا تقفي في طريق هنائنا. باركي الحبّ المقيم.

آنا آندرييفنا (بدهشة): يعني واقع فيها؟...

خليستاكوف: قرّري الحياة أم الموت؟

آنا آندريفنا: ها أنتِ ترين، يا حمقاء، ترين، من أجلكِ، يا حثالة، تفضّـل الضيف فركع. بينما أنتِ دخلـتِ راكضة فجأة، كالمخبولة، أنتِ في الحقيقة تستحقّين أن أرفض عن عمد، أنتِ لا تستأهلين هذه السعادة.

ماريا أنتونوفنا: لن أفعل، يا ماما، لن أفعلها مرّة أخرى، حقيقة.

المشهد الخامس عشر

(نفس الأشخاص، وحاكم المدينة في عجالة واضطراب).

حاكم المدينة: يا صاحب السيادة لا تتشدّدوا معي!

خليستاكوف: ماذا بكَ؟

حاكم المدينة: التجّار اشتكوا لسيادتكم. أقسم لكم بشرفي لا وجود حتّى لنصف ما يقولونه. هم أنفسهم يحتالون ويغشون الناس. وزوجة ضابط الصف كذبت عليكم حين زعمت أنّني جلدتها. إنّها تكذب، وحق الربّ، تكذب، هي التي جلدت نفسها، بنفسها.

خليستاكوف: دعني من زوجة ضابط الصفّ. لا يهمني شأنها!

حاكم المدينة: لا تصدقوا بهم، لا تصدّقوا! هؤلاء كذّابون.. حتّى الطفل الصغير لا يصدّق بهم. المدينة كلّها تعرف أنّهم كذابون. أمّا بخصوص النصب، فأجرؤ على القول إن هؤلاء نصّابون لم يشهد العالم لهم مثيلاً.

آنا آندريفنا: هل تدري أي شرف يمنحنا إيفان الكسندروفيتش؟ يطلب يد ابنتنا.

حاكم المدينة: قفي عند حدّك!.. تخبلت، يا ست! لا تغضبوا، يا صاحب السيادة! فيها شيء من اللوثة، مثلما كانت أمّها.

خليستاكوف: نعم، بالضبط، أطلب يدها. أنا عاشق.

حاكم المدينة: لا يمكن أن أصدّق، يا صاحب السيادة.

آنا آندريفنا: هذا ما يقولونه لكَ!

خليستاكـوف: لست مازحاً في كلامي لـكَ... يمكن أن يسلب الحب عقلي.

حاكم المدينة: لا أجرؤ أن أصدّق أنني أهل لمثل هذا الشرف.

خليستاكـوف: وإذا كنتَ غـير موافق علـى أن تعطيني يد ماريا أنتونوفنا فالشيطان وحده يعرف أنّني مستعدّ....

حاكـم المدينة: لا يمكـن أن أصـدّق. أنتم تمزحـون، يا صاحب السيادة!

آنا آندريفنا: دماغ ناشف بالضبط. إذا كانوا يقولون لكَ.

حاكم المدينة: لا يمكن أن أصدّق.

خليستاكـوف: وافق، وافق. أنا إنسان نزق، أقدم على كلّ شيء، إذا أطلقت النار على نفسي ستُقدّم إلى المحكمة.

حاكم المدينة: آه، يا إلهي! لستُ، والحقّ، ملوماً في هذا لا بالقلب ولا بالجسـد، لا تغضبـوا، ولكم أن تتصرفوا كما تشـاؤون. فإن في رأسي الآن، في الحقيقة أنا نفسي لا أعرف ماذا يحصل. صرت بليداً إلى حد لم أكن عليه من قبل.

آنا آندريفنا: طيّب، بارك!

(خليستاكوف يقترب مرافقاً ماريا أنتونوفنا).

حاكم المدينة: الله يبارككما، وما أنا بملوم!

(خليستاكوف و ماريا أنتونوفنا يتبادلان القبل. حاكم المدينة ينظر إليهما).

أي شـيء هـذا! في الواقع! (يفـرك عينيه) يتبـادلان القُبل! آه، يا أوليـاء، يتبـالادن القبـل! خطيب حقيقـي! (يصيح، وهـو يقفز من الفرح).. حلو، يـا أنتون! حلو يا أنتون! حلو، يا حاكم المدينة! هذه في النتيجة!

المشهد السادس عشر

(نفس الأشخاص وأوسيب).

أوسيب: الخيول جاهزة.

خليستاكوف: آه، طيب... أنا حالاً.

حاكم المدينة: كيف؟ تسافرون؟

خليستاكوف: نعم، أسافر.

حاكم المدينة: ومتى يعني... أنتم أنفسكم، أظنّ، لمّحتم إلى الزفاف؟

خليستاكوف: ولكن هذا.... لدقيقة واحدة فقط... ليوم واحد إلى عمّي، العجوز الثري، وغداً سأعود.

حاكم المدينة: لا نجرؤ على إعاقتكم، أملاً في عودة ميمونة.

خليستاكوف: بالطبع، بالطبع، بسرعة البرق، مع السلامة، يا حبّي... لا، غير قادر على التعبير! مع السلامة، يا روحي! (يقبّل يدها)..

حاكم المدينة: ألا تحتاجون شيئاً للطريق؟ ربّما تحتاجون إلى فلوس؟

خليستاكوف: لا، أبداً، ولِمَ هذا؟ (بعد تفكير قصير).. على العموم ممكن.

حاكم المدينة: كم تريدون؟

خليستاكوف: أعطيتموني مائتين، أقصد أربعمئة لا مائتين، لا أريد أن أستغلّ خطأك. والآن، أعتقد نفس المبلغ، ليصير ثمانمئة بالضبط.

حاكـم المدينـة: حـالاً!.. (يخرج مـن محفظته النقـود).. وهذه خصيصاً أجدّ النقود الورقية.

خليستاكـوف: أي، نعـم! (يأخذ النقود ويعاينهـا) هذا لطيف. يقولون النقود الورقية الجديدة تجلب سعادة جديدة.

حاكم المدينة: بالضبط.

خليستاكوف: مـع السلامة، يا أنتـون أنتونوفيتش.! ممنون جدّاً علـى حسـن الضيافة. وأعـترف بكلّ قلبـي: لم أحظ أبـداً بمثل هذا الاستقبـال اللطيـف في أي مكان، مع السلامة، يا آنـا آندرييفنا: مع السلامة، يا روحي يا ماريا أنتونوفنا:

(يخرج الجميع).

(من وراء المسرح).

صـوت خليستاكـوف: مـع السلامة، يـا ملاك روحـي، ماريا أنتونوفنا.

صوت حاكم المدينـة: كيف هذا منكم؟ هل تسافرون على عربة بريد اعتيادية؟

صوت خليستاكوف: نعم، تعـوّدت على ذلك. يصيبني صداع من العربة ذات النوابض.

صوت الحوذي: ترر....

صوت حاكـم المدينة: على الأقل لو فُرشـت بشيء، ولو ببساط صغير، هل آمر بجلب بساط؟

صـوت خليستاكـوف: لا، ولماذا؟ لا أهمية لذلـك، ولكن على العموم، ممكن، ليجلبوا بساطاً.

صـوت حاكـم المدينـة: يـا آفدوتيا! اذهبـي إلى حجـرة المتاع، واخرجي منها أحسن بساط، الفارسي، الأزرق، أسرعي!

صوت الحوذي: ترررر...

صوت حاكم المدينة: متى سننتظركم؟

صوت خليستاكوف: غداً أو بعد «غدرون».

صوت أوسيب: آ.... هـذا بساط؟ هاتيه إلى هنا، افرشيه هكذا! والآن لنضع التبن من هذا الجانب.

صوت الحوذي: ترررر....

صوت أوسيب: من هـذا الجانب! إلى هنا! أكثر! كفاية! ستكون مريحة جدّاً! (يضرب البساط بيده). والآن، اجلس يا صاحب النبالة.

صوت خليستاكوف: مع السلامة، يا أنتون أنتونوفيتش.

صوت حاكم المدينة: مع السلامة، يا صاحب السيادة!

صوتان نسائيان: مع السلامة، يا إيفان ألكسندروفيتش!

صوت خليستاكوف: مع السلامة، يا ماما!

صوت الحوذي: هيَّا، يا خِفاف!

(صوت جرس، الستارة تنزل).

الفصل الخامس

(نفس الحجرة).

المشهد الأول

(حاكم المدينة، آنا آندريفنا، ماريا أنتونوفنا).

حاكـم المدينة: مـاذا، يا آنـا آندريفنا؟ ها؟ هـل خطر ذلك على بالـك؟ أية جائزة ثمينة، يـا للعنة! اعترفي بصراحة أن ذلك لم يراودك حتّـى في الحلم. مجرّد زوجة حاكم مدينة وفجأة.... يا للعنة! ... مع مَنْ تناسبت!

آنا آندريفنا: على العكس تماماً كنت أعرف ذلك منذ زمان! أنتَ الذي انبهرت به، لأنكَ رجل بسيط، لم تر الناس المعتبرين قطّ.

حاكـم المدينة: أنا نفسي إنسان معتبر، يـا ستّي. ومع ذلك، يا آنا آندريفنا، إلى أيـن حلّقنا أنا وأنتِ! ها يا آنا آندريفنا.؟ تحليقة عالية، وحـقّ الشيطان! لينظروا الآن كيف سأشيّط كلّ هؤلاء المحبّين لتقديم الشكاوى والوشايات! هاي، يا مَنْ هناك.

(يدخل شرطي).

هـذا أنت، يا إيفـان كاربوفيتش! استدع التجّـار إلى هنا، يا أخ، سـأُري هؤلاء المحتالـين! يتشكّون منّي؟ هكذا يتصرفـون، يا خونة المسيح الملاعين! انتظروا يا حلوين! من قبل كنتُ أكيل لكم بالصاع،

والآن سأكيـل لكم بالصاع والذراع. سجِّـل كلَّ الذين كانوا يأتون للتشكّـي منّـي، وفي المقدّمـة أولئك الذيـن شخبطوا لـه العرائض، والشكاوى وأبلغ الجميع ليعرفوا ما أرسل الربّ من فضل على حاكم المدينـة ليزف ابنته لا إلى رجل بسيط، بـل إلى رجل لم تر الدنيا مثيلاً لـه من قبل، قـادر على أن يفعل كلّ شيء، كلّ شـيء، كلّ شيء! أبلغ الجميـع ليعرفوا ذلك. اهتف في الناس جميعاً، دقّ الناقوس، ياه! إذا حلَّ عيد، فأهلاً به.

(الشرطي يخرج)

هكـذا إذاً، يـا آنا آندرييفنـا: ها؟ أيـن سنعيشـ الآن؟ هنا أم في بطرسبورغ؟

آنا آندرييفنا: طبيعي في بطرسبورغ. وكيف يمكن أن نبقى هنا!

حاكم المدينـة: ما دام في بطرسبورغ، فليكن في بطرسبورغ ولو أن العيشـ طيّب، هنا أيضاً، في هذه الحـال ليذهب منصب حاكمية المدينة إلى سقر، ها، يا آنا آندرييفنا؟

آنا آندرييفنا: طبيعي، وما قيمته!

حاكم المدينـة: لأنّ في الإمكان الآن اقتناصـ وظيفة كبيرة، لأنّه على قدم المساواة مع جميع الوزراء، ويزور القصر أيضاً، ولهذا يمكنه أن يرقّينـي ترقية كبـيرة، حتّى أصل إلى رتبة جـنرال بمرور الزمن. ما رأيك، يا آنا آندرييفنا، هل يمكن الوصول إلى رتبة جنرال؟..

آنا آندرييفنا: وكيف لا! ممكن، بالطبع.

حاكم المدينة: ياه، روعة أن يصير الإنسان جنرالاً! فيعلّقون وشاح وسام على كتفه. أي وشاح تفضّلين، يا آنا آندرييفنا: أحمر أم أزرق؟

آنا آندرييفنا: أزرق، بالطبع.

حاكـم المدينة: هـا؟ بالغتِ في مطلبكِ! الأحمـر أيضاً جيّد. هل

تعرفين لماذا أريـد أن أصير جنرالاً؟ لأنّه يحدث أن يسافر الجنرال فلا يـرى أمامه غـير رُسُل الحكومة والمرافقين يسبقونـه يطلبون الخيول. بينمـا في المحطات لا يعطون الخيول إلا لهم، والجميع ينتظرون. كلّ هـؤلاء الموظّفين الصغـار والضباط برتبة رائد، وحـكّام المدن. بينما لجـنرال مطمئنّ البال. يتناول غـداءه عند حاكم الولايـة، أما أنتَ، يـا حاكـم المدينة، فابـق في مكانك وانتظر! ها، هـا، ها! (يغرق في الضحك). يا للعنة هذا شيء مغر!

آنـا آندريفنا: أنتَ مولع بالفجّ دائمـاً. عليكَ أن تتذكّر أن عليك أن تغـيّر حياتـك كلياً، فلا تصاحـب قاضياً مولعـاً بالكلاب تخرج لاصطيـاد الأرانـب معـه، أو زيملانيـكا بـل على العكـس سيكون أصحابك من ذوي السلوك الرقيق، الكونتات وكلّ وجهاء القوم.... ولكنّني خائفة عليك، حقّاً. أنتَ أحياناً تتفوه بكلمة لن تسمعها أبداً في المجتمع الراقي.

حاكم المدينة: ثمّ ماذا؟ الكلمة لا تضرّ.

آنا آندريفنـا: هذا صحيح، حين كنتَ حاكم المدينة ولكن الحياة مختلفة تماماً هناك.

حاكم المدينة: نعـم، يقولون هناك صنفان مـن السمك يجعلان لعابك يسيل، حالما تبدئين بالأكل.

آنـا آندريفنـا: لا همَّ له غير السمـك. بينما أريـد أن يكون بيتنا الأوّل في العاصمـة، وأن تفوح رائحة العنـبر في حجرتي بشكل لا يستطيـع الإنسان أن يدخل فيهـا دون أن يقلّص عينيه هكذا (تقلّص عينيها وتتشمّم). آه، ما ألطفه!..

المشهد الثاني

(الشخصان ذاتهما مع التجار).

حاكم المدينة: آ.... مرحباً، يا أحبابَ!

التجار (ينحنون): حياكم الله، يا مولانا!

حاكـم المدينة: كيف الأحوال، يـا أعزائي! كيف تسير تجارتكم؟ شكوتم يا خاملون يا خردوات؟ يا جذور النصب، وثعالب الاحتيال، وأوباش الخداع! شكوتم؟ وهل حصلتم على الكثير؟ تتصوّرون أنّكم ستزجّوننـي في السجـن! هل تعرفـون، يا نسـل الشياطين، يا ضرع الجرب أن...

آنا آندرييفنا: آه، يا إلهي، ما هذه الكلمات التي تقولها، يا عزيزي أنتون!

حاكم المدينة (باستياء): لستُ معنياً بالكلمات الآن! هل تعرفون أن الموظّـف الذي شكوتم عنده سيتزوّج ابنتـي الآن؟ ها؟ ماذا؟ ماذا تقولـون الآن؟ سأريكـم الآن... تحتالـون على النـاس... تعقدون مقاولـة لتزويـد الحكومة، فتخدعونهـا بمئة ألف، حـين تدسّون لها جوخاً متهرّئاً، وبعد ذلك تتنازلـون بعشرين ذراعاً هبة، وفوق ذلك تطالبـون بوسـام؟ آه، لو كانوا يعرفـون، إذاً... الواحـد منهم ينفخ كرشـه ليقـول أنا تاجر، فـلا تمسني. «نحـن لا نقل شأنـاً حتّى عن النبـلاء.» ولكـن النبيل... آه، الأوغـاد! النبيل يدرسـ العلوم، وإذا جلـدوه في المدرسة، فذلك عن فائدة، ليعرف مـا هو النافع. وأنتم؟ تبـدؤون حياتكم محتالـين، وصاحب المـال يضربكـم إذا لم تحسنوا

الاحتيـال ومنذ الصغر، وقبل أن تعرفوا «أبانا الذي في السماوات!» تطففون بالـذراع، وحالما تكبر كروشكم، وتمتلـئ جيوبكم بالمال، تختالـون عظمة! تفـو عليكم أية عظمة هـذهَ! تختالون عظمة، لأن الواحـد منكم يشرب ستّة عشر سماوراً مـن الشاي في اليوم؟ بصقة على رؤوسكم وعلى عظمتكم!

التجّار (ينحبون): مذنبون، يا أنتون أنتونوفيتش!

حاكـم المدينـة: تشتكـي؟ مَنْ ساعـدكَ على الغشّ، حين بنيت جسـراً، وسجّلت عشرين ألف قيمة خشب، بينما لم يكلّفك الخشب حتّى مئـة روبل؟ أنا الذي ساعدتكَ، يا ذقن العنزة! هل نسيت هذا؟ لـو شهدت بذلك عليك، لأمكن أن تُنفى أنـتَ أيضاً إلى سيبيريا. ما رأيك؟ ها؟

أحد التجّار: مذنبون أمام الربّ، يا أنتون أنتونوفيتش. وسوس لنا الشيطان. ولن نشكو بعد الآن ونعاهدك على ذلك. خذ أي تعويض ولكن لا تغضب!.

حاكم المدينـة: لا تغضب الآن اركع أنتَ على قدميّ. ولماذا؟ لأن كفتي هي التـي رجحت. ولو كان الرجحان مـال إلى كفّتك قليلاً، لكنت، أيّها النصّاب، مرّغتني بالوحل، بل ودست على خناقي.

التجّار: (يكبون على قدميه). لا تتشدّد معنا، يا أنتون أنتونوفيتش!

حاكم المدينة: لا تتشدّد! الآن لا تتشدّد! وقبل؟ كنت سأريكم... (يلـوح بذراعه). ولكن ليسامحكم الربّ! كفـى! أنا لا أضمر حقداً لأحـد. ولكن خذوا حذركم الآن! أنا لا أزوّج ابنتي لنبيل اعتيادي. فلتكـن التبريكات على قدّ المقام.... فاهمـون؟ لا دفع الشر بسمكة سلمون مملحة أو رأسآ سكّر... طيب، اخرجوا، عفا الله عنكم!..

(التجّار يخرجون).

المشهد الثالث

(نفس الأشخاص، و أمّوس فيدروفيتش وأرتيمي فيليبوفيتش وبعد ذلك راستاكوفسكي).

أمّوس فيدروفيتش (وهو ما يزال عند الباب): هل أصدّق بالشائعات يا أنتون أنتونوفيتش؟ صحيح أنّ سعادة غير مألوفة هلّت عليك؟

أرتيمي فيليبوفيتش: أتشرّف بالتهنئة بهذه السعادة غير المألوفة. فرحت من كلّ قلبي، حين سمعت. (يلثم يد آنا آندرييفنا). آنا آندرييفنا! (يلثم يد ماريا أنتونوفنا). ماريا أنتونوفنا!

راستاكوفسكي (يدخل): تهانيَّ. يا أنتون أنتونوفيتش! أطال الله عمركم وعمر الزوجين الجديدين، ومنحكم ذرية كثيرة، أحفاداً! آنا آندرييفنا.! (يلثم يد آنا آندرييفنا).. ماريا أنتونوفنا (يلثم يد ماريا أنتونوفنا).

المشهد الرابع

(نفس الأشخاص وكوروبكين وزوجته، وليوليوكوف).

كوروبكين: أتشرّف بالتهنئة، يا أنتون أنتونوفيتش.! آنا آندرييفنا (يلثم يد آنا آندرييفنا). ماريا أنتونوفنا! (يلثم يد ماريا أنتونوفنا).

زوجـة كوروبكين: أهنّئك من كلّ قلبي، يا آنا آندرييفنا بالسعادة الجديدة.

ليوليوكـوف: أتشرّف بالتهنئة، يا آنـا آندرييفنا (يلثم يدها، وبعد ذلك يدير وجهه إلى المتفرّجين، ويتمطق بلسانه إمارة على الجسارة). ماريـا أنتونوفنـا.! أتشـرّف بالتهنئـة. (يلثم يدها، ويديـر وجهه إلى المتفرّجين بنفس الإمارة)..

المشهد الخامس

(عدد كبير من الضيوف في السترات الرسمية والفراك يلثمون في البداية يد آنـا آندرييفنا قائلين: «آنا آندرييفنا!» وبعد ذلك يـد ماريا أنتونوفنا قائلين: «ماريا أنتونوفنا»).

(شق بوبتشينسكي ودوبتشينسكي طريقهما بين الضيوف).

بوبتشينسكي: أتشرّف بالتهنئة.

دوبتشينسكي: أنتون أنتونوفيتش، أتشرّف بالتهنئة!

بوبتشينسكي: بالخير واليمن!

دوبتشينسكي: آنا آندرييفنا!

بوبتشينسكي: آنا آندرييفنا!

(الاثنان يتقدّمان في وقت واحد فيتصادمان بالجبين).

دوبتشينسكي: ماريـا أنتونوفنا! (يلثم يدهـا). أتشرّف بالتهنئة. ستريـن عزّاً، عزّاً كبيراً، وتلبسين ثوباً مذهّبـاً، وتأكلين أصنافاً مختلفة من الحساء المترف، وستقضين وقتاً غاية في المتعة.

بوبتشينسكـي: (يقاطعه) ماريا أنتونوفنـا أتشرّف بالتهنئة! كتب الله لـكِ كلّ الثراء والمال النفيس وطفلاً صغيراً بهذا القدّ (يشير بيده) حتّى يمكن أن يوضع على الكفّ، نعم! وطوال الوقت يصيح: واع! واع! واع!...

المشهد السادس

(بعض الضيوف الآخرين يلثمون أيدي المرأتين، لوكا لوكيتش وزوجته).

لوكا لوكيتش أتشرّف....

زوجـة لـوكا لوكيتشـ (تسبق زوجهـا راكضة). أهنّئـك، يا آنا آندرييفنا!

(تقبّلها).

كـم فرحت حقّاً، يقولون لي«آنا آندرييفنـا تزوج ابنتها». فأقول في نفسي: «آه، يا إلهـي!» وفرحت كثيراً، وأقول لزوجي: «اسمع، يا لوكا لوكيتشـ العزيز ما أسعد حظّ آنا آندرييفنا.!» وأقول لنفسي: «طيّـب، حمداً لله!» وأقول له: «أنـا في غاية الابتهاج تحرقني اللهفة لأعـرب لآنا آندرييفنا شخصياً.... وأقـول لنفسي: «آه، يا إلهي! آنا آندرييفنـا بالفعل كانـت تنتظر زيجة موفقة لابنتهـا، والآن جاء هذا الحـظّ. تحقّق ماكانت تريده بالضبـط». وفرحت بالفعل فرحة شلّت لسـاني، فأبكي، وأبكي، وتأخذني العبرة فأنتحب تماماً. ويقول لوكا لوكيتش «لماذا تنتحبين، يا عزيزتي؟» فأقول: «يا عزيزي أنا نفسي لا أدري ولكن الدموع تفيض من عيني أنهاراً».

حاكـم المدينة: أرجوكـم حارّ الرجـاء، يا سـادة، أن تجلسوا! يا ميشكا، اجلب مقاعد أكثر.

(الضيوف يجلسون).

المشهد السابع

(نفس الأشخاص، رئيس الشرطة، رجال الشرطة).

رئيس الشرطة: أتشرّف بتهنئتكم، يا صاحب النبالة، وأتمنّى اليمن والرفاه لسنين طويلة!

حاكم المدينة: شكراً، شكراً، أرجو أن تجلسوا يا سادة.

(الضيوف يتخذون مقاعدهم).

أمّوس فيدروفيتش: ولكن قل لي، أرجوك، يا أنتون أنتونوفيتش. كيف بدأ كلّ هذا، مجرى كلّ هذا، أقصد، مجرى الأمر، بالتسلسل.

حاكم المدينة: مجرى الأمر استثنائي. هو الذي طلب يدها من تلقاء نفسه.

آنا آندريفنا: بطريقة مهذّبة جداً، وغاية في الرقة. ظلّ يتكلّم بفصاحة استثنائية. يقول: «أنا، يا آنا آندريفنا من احترامي فقط لمكارمكم...»، رجل رائع مثقف بأنبل الأصول! «ثقي، يا آنا آندريفنا أن الحياة بالنسبة لي شيء تافه، مجرّد أنّني أحترم خصالكم النادرة».

ماريا أنتونوفنا: آه، ماما! هذا الكلام قاله لي.

آنا آندريفنا: قفي عند حدّك، أنتِ لا تعرفين شيئاً، فلا تتدخّلي بما لا يعنيكِ! «آنا آندريفنا مندهش، يا آنا آندريفنا...» كان يتدفّق بمثل هذه الكلمات المريحة للنفس.... وحين أردتُ أن أقول: «لا يمكن أن نجرأ على الطموح إلى مثل هذا الشرف»، ركع فجأة، وبطريقة غاية في النبل: «يا آنا آندريفنا لا تجعليني تعيساً! وافقي على

الاستجابة لمشاعري، وإلا فسأنهي حياتي».

ماريا أنتونوفنا: حقّاً، يا ماما، هذا الكلام قاله عني.

آنا آندرييفنا: نعم، بالطبع... وعنكِ أيضاً، وأنا لا أنكر هذا قطّ.

حاكم المدينة: بل وأفزعنا، حين صار يقول: سأطلق الرصاص على نفسي. هكذا: «سأرمي نفسي، سأرمي نفسي!».

الكثير من الضيوف: عجيب!

أمّوس فيدروفيتش: حكاية عجيبة!

لوكا لوكيتش: حقّاً، هكذا أراد القدر.

أرتيمي فيليبوفيتش: ليس القدر فالقدر أعمى، ولكنّها المؤهلات. (جانباً) الحظّ دائماً يضع اللقمة في فمّ من لا يستحقّها.

أمّوس فيدروفيتش: أعتقد، يا أنتون أنتونوفيتش. أنّني سأبيعك الكلب الذي أردت أن تشتريه.

حاكم المدينة: لا، لا تهمّني الكلاب الآن.

أمّوس فيدروفيتش: لا تريد هذا، تعال نتّفق على كلب آخر، إذاً.

زوجة كوروبكين: آه، يا آنا آندرييفنا كم أنا مسرورة بسعادتكم! لا يمكن أن تتصوّري.

كوروبكين: أين الضيف المبجّل الآن، إذا سمحتم أن نعرف؟ سمعت أنّه سافر لغرض ما.

حاكم المدينة: نعم، سافر ليوم واحد. في شأن غاية الأهمية.

آنا آندرييفنا: إلى عمّه يطلب مباركته.

حاكم المدينة: يطلب مباركته، ولكنّه غداً.... (يعطس).

(التمنيات بالصحة[1] تنصب في طنين واحد)

شكراً كثيراً! ولكنّه غداً سيعود... (يعطس)

(طنين التمنيات، تسمع من خلاله أصوات أقوى).

صوت مدير الشرطة: عامر الصحّة، يا صاحب النبالة.

صوت بوبتشينسكي: مئة عام من العمر، وشليفاً من الذهب.

صوت دوبتشينسكي: أطال الله عمرك!

صوت أرتيمي فيليبوفيتش: في داهية!

صوت زوجة كوروبكين: يخطفك الشيطان!

حاكم المدينة: شكراً جزيلاً! أتمنّى لكم نفس التمنيات.

آنـا آندريفنـا: ننوي الآن الإقامـة في بطرسبـورغ. الهواء هنا، بصراحـة، قـروي أكـثر من الـلازم!... إزعـاج كبـير، بصراحة... وزوجي أيضاً سيحصل هناك على رتبة جنرال.

حاكـم المدينة: نعم، بصراحة، يا سادة، أودّ من كلّ قلبي أن أكون جنرالاً، وحقّ الشيطان.

لوكا لوكيتش: طيب، جعل الله هذه الرتبة من نصيبك.

راستاكوفسكي: إذا كان الإنسان غير قادر، فالله قادر.

أمّوس فيدروفيتش: أمام المركب الكبير رحلة كبيرة.

أرتيمي فيليبوفيتش: لكل ما يستحقه.

أمّوسـ فيدروفيتش: (جانباً). أعجوبـة، لو يصير جنرالاً بالفعل! لأنّ الجنراليـة تليق به، بقدر ما يليق السرج ببقرة! ولكن، لا يا أخ، ما

(١) عندما يعطس الإنسان يقال له، حسب العادة الروسية القديمة: «مشافي» أو «عندك العافية» المترجم.

يزال الشوط بعيداً. هناك مَنْ أكثر جدارة منك، و لم يصيروا جنرالات حتّى الآن.

أرتيمي فيليبوفيتش: (جانباً) أوه، عليه اللعنة، يرنو إلى الجنرالية! ولكن مَنْ يدري فقد يصير جنرالاً، لأنّ له، الملعون، ما يكفي من العظمة. (يخاطبه). إذاً، يا أنتون أنتونوفيتش. لا تنسنا، نحن أيضاً.

أمّوس فيدروفيتش: وإذا حصل شيء، كأن نحتاج إلى مساعدة في أشغالنا، فلا تتركنا بلا حمايتك.

كوروبكين: في السنة القادمة سآخذ ابني إلى العاصمة بخدمة الدولة، فاعمل معروفاً، واشمله برعايتك. وكن في مقام أبيه الغائب.

حاكم المدينة: أنا مستعدّ من ناحيتي، مستعدّ لأبذل الجهد.

آنا آندريفنا: أنتَ، يا عزيزي، دائماً مستعدّ لبذل الوعود. أوّلاً، لن يكون لكَ الوقت للتفكير بذلك. فكيف يمكن ، وبأي موجب، ترهق نفسكَ بهذه الوعود.

حاكم المدينة: ولماذا، يا روحي؟ يمكن أحياناً.

آنا آندريفنا: يمكن، بالطبع، ولكن الرعاية لا تقدّم لكل من هبَّ ودبَّ.

زوجة كوروبكين: هل سمعتم كيف تنظر إلينا؟

إحدى النساء: كانت دائماً بهذا الشكل، أنا أعرفها. إذا أجلستها إلى مائدة، وضعت عليها رجليها أيضاً...

المشهد الثامن

(نفس الأشخاص، يدخل مأمور البريد باستعجال وفي يده رسالة مفضوضة).

مأمور البريد: أمر مذهل، يا سادة! الموظّف الذي حسبناه مفتشاً عاماً. لم يكن مفتّشاً عامّاً.

الجميع: كيف لم يكن؟

مأمور البريد: لم يكن مفتّشاً عامّاً على الإطلاق. وقد عرفت ذلك من الرسالة.

حاكم المدينة: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ من أي رسالة؟

مأمور البريد: من رسالة بخط يده. جاءوا بهذه الرسالة إليّ في البريد. وأنظر إلى العنوان فأرى «إلى شارع البريد».

فشعرت بمثل دبيب النمل في جسمي، وقلت لنفسي: «آها، أظنّه عثر على خروق في قسم البريد، فكتب يبلغ الرئاسة». وفكّكت الختم.

حاكم المدينة: كيف فعلت هذا؟

مأمور البريد: أنا نفسي لا أدري، قوة شريرة دفعتني.

وكنت قد دعوت رسولاً ليحمل الرسالة على جناح السرعة. ولكن فضولاً قوياً استولى عليّ، لم أشعر بأنني لن أصمد ولن أقاوم، هناك شيء يغريني ويغريني! في إحدى أذنيّ أسمع هاتفاً يقول لي: «يا أنت لا تفكّها. سيُقضى عليك، كما يُقضى على دجاجة»؛ وفي الأذن الأخرى أسمع شيطاناً يهمس لي: «فكّها، فكّها، فكّها!»

وحالما ضغطت علـى شمع الختم، حتّى أحسست بالنار في عروقي. ولكنّنـي فضضتـه. وشعرت بقشعريـرة، وحقّ الـربّ، بقشعريرة. ويداي ترتعشان وكل شيء غام.

حاكـم المدينة: ولكن كيـف تجاسرت على فضـ رسالة شخصية مفوّضة مثله؟

مأمور البريد: هذه هي المسألة، ليس هو مفوّضاً، ولا شخصية.

حاكم المدينة: ومَنْ هو، إذاً، في اعتقادك؟

مأمور البريد: لا بالعير، ولا بالنفير. الشيطان يعلم أي شيء هو!

حاكم المدينة (مغتاظاً): كيف لا بالعير ولا بالنفير؟ كيف تجسر أن تنعتـه لا بالعير ولا بالنفير؟ وتقول أيضـاً الشيطان يعلم أي شيء هو؟ سأعتقلك...

مأمور البريد: مَنْ ؟ أنتَ؟

حاكم المدينة: نعم، أنا!

مأمور البريد: باعك قصير، فلا يصل!

حاكـم المدينة: هل تعرف أنـه سيتزوج ابنتي، وأنّنـي أنا سأصير صاحب مقام كبير، وأزجّك حتّى في سيبيريا؟

مأمور البريد: آه، يا أنتون أنتونوفيتش. أي سيبيريا؟ سيبيريا بعيدة. الأحسن أن أقرأ لك. أيّها السادة! هل تسمحون بأن أقرأ الرسالة؟

الجميع: اقرأ، اقرأ!

مأمور البريد (يقرأ): «أسرع بأن أبلغك، يا عزيزي تريابيتشكين، بالعجائـب التي وقعـت لي، في الطريـق نظفني رائد مشـاة من كلّ نقـودي، حتّـى أن صاحـب الحانـة أراد أن يرسلنـي إلى السجـن. وفجـأة، ومن سحنتي البطرسبورغية ومـن بزّتي تحسبني المدينة كلّها جنرالاً واليـاً!... وأنا الآن أعيش في بيت حاكم المدينة وأتمتّع بلذائذ

الحيــاة وأغازل زوجته وابنتــه، كما أشتهي، سوى أنّنــي لم أقّرر بعد بمــن أبدأ. وأظنّنــي سأبدأ بالأمّ، لأنّها، كما يبــدو، مستعدّة في الحال لكلّ الخدمات، هل تذكر كيف أصابنا الفقر، فكنا نتغذّى متطفّلين، وذات مــرّة أمسكني حلواني من تلابيبي، بسبــب قطع الحلوى التي أكلتها علــى حساب ملك الإنقليز؟ الآن تختلف الحال تماماً. الجميع يقرضونــني المبالــغ التــي أريدها. نمــاذج عجيبة. تجعلــك تموت من الضحــك. أنا أعرف أنّك تكتب مقــالات، فأدخل هذه النماذج في أدبك. أوّلاً: حاكم المدينة: أبله مكعّب....»

حاكم المدينة: غير ممكن! لا وجود لهذا في الرسالة.

مأمور البريد: (يشير إلى الرسالة). اقرأ بنفسك.

حاكم المدينة (يقرأ): «مكعّب» غير ممكن! أنتَ كتبتَ هذا.

مأمور البريد: وكيف أمكن أن أكتب؟

أرتيمي فيليبوفيتش: إقرأ.

لوكا لوكيتش: إقرأ.

مأمور البريد (يستأنف القراءة): « حاكم المدينة: أبله مكعّب...»

حاكــم المدينة: أوه، اللعنة! لازم أن يعيدها أيضاً؟ وكأنّ ذلك غير موجود فيها أصلاً.

مأمــور البريــد (يستمــر في القــراءة): ... إحــم.... إحــم.... إحــم.... إحــم.... «مكعب. ومأمور البريد رجل طيــب أيضاً....» (يتوقّف عن القراءة). طيّب، عنّي أيضاً يوجد تعبير غير محتشم.

حاكم المدينة: لا، اقرأه!

مأمور البريد: ولكن ما الجدوى؟

حاكم المدينة: لا، عليك اللعنة، إذا كنت تقرأ، فاقرأ كلّ شيء!

أرتيمـي فيليبوفيتش: اسمحوا أن أقرأ أنا. (يضع نظّارته، ويقرأ)، «مأمـور البريد: نسخة طبـق الأصل من حارس المديرية ميخييف. الرذيل سكير أصيل، كما أعتقد.»

مأمور البريد (نحو المتفرّجين): أوه، صبي حقير، يستحقّ الجلد، ولا أكثر!..

أرتيمي فيليبوفيتش: (مواصلاً القراءة) «راعي المؤسسات الخيرية ... يـ... يـ... يـ... يـ...» (يصيبه حصر في الكلام)..

كوروبكين: ولماذا توقّفتَ؟

أرتيمـي فيليبوفيتـش: الخطّ غير واضـح. على العمـوم يبدو أنّه سافل.

كوروبكين: هاتها لي! أظنّ بصري أقوى! (يمسك الرسالة).

أرتيمي فيليبوفيتش: (لا يتركها له).. هذا الموضع يمكن أن يفوَّت، وبعده يصير الخطّ واضحاً.

كوروبكين: ولكن اسمح. أنا أعرف.

أرتيمـي فيليبوفيتـش: أقدر أن أقـرأ أنا أيضـاً. يتوضّح الخطّ بعد ذلك، بالفعل.

مأمور البريد: لا، إقرأ كلّ شيء! السابق كلّه قُرِئَ.

الجميـع: أعطهـا، يـا أرتيمـي فيليبوفيتـش: أعـطِ الرسالـة، (لكوروبكين). إقرأها.

أرتيمي فيليبوفيتش: الآن. (يعطي الرسالة).. خذها.... (يغطيها بإصبعه).. إقرأ من هنا.

(الجميع يتقدّمون منه).

مأمور البريد: إقرأ، إقرأ! سخافة، إقرأ كلّ شيء!

كوروبكين (يقـرأ): «راعي المؤسسات الخيريـة زيملانيكا خنزير حقيقي في قبّعة مدوّرة»

أرتيمي فيليبوفيتشـ: (إلى المتفرّجين). تنقصه الحذاقة في التعبير! هل يوجد خنزير في قبّعة مدوّرة؟

كوروبكـين (مستمـرّاً في القـراءة): «ناظر المدرسـة مشبّع كليّة برائحة البصل».

لـوكا لوكيتش (إلى المتفرّجـين): قسماً بـالله، لم أضع البصل في فمّي قطّ.

أمّوس فيدروفيتش: (جانباً). حمداً لله، أنّه لم يمسّني، على الأقل.

كوروبكين (يقرأ): «القاضي....»

أمّوس فيدروفيتش: رأسـاً... (بصوت مسموع).. أيّها السادة، أظنّ الرسالة طويلة، ثمّ أيّة أهمية لها، نقرأ مثل القذارة.

لوكا لوكيتش: لا!

مأمور البريد: لا، إقرأ.

أرتيمي فيليبوفيتش: لا، واصل القراءة!

كوروبكـين (مواصلاً): «القاضي ليابكين تيابكين موفي تون في أشدّ درجة...»[1] (يتوقّف) يبدو أنها كلمة فرنسية.

أمّوسـ فيدروفيتش: الشيطان يعرف ماذا تعني! لا بأس لو كانت تعني نصّاباً، ولكن ربّما أسوأ من ذلك.

كوروبكـين (يواصـل القـراءة): «ولكـن الناس، علـى العموم

---

(١) عن الفرنسية mauvais ton وتعني التناغم السيئ أو النشاز، وقد استخدمها غوغول للتعبير عن إنسان غير المثقّف والذي لا يحسن التصرف في المجتمع. المعرب.

مضيافون، لطفاء، وداعاً، يا عزيزي ترايابيتشكين. أنا أيضاً أريد أن أحتذيك وأمارس الأدب. فالعيش بهذا الشكل مضجر، يا أخ. والإنسان، في آخر الأمر، يريد غذاء لروحه. وأرى من الضروري حقاً أن يمارس الإنسان شيئاً، أكتب لي إلى ولاية ساراتوف. ومن هناك إلى قرية بودكاتيليفكا. (يقلّب الرسالة، ويقرأ العنوان). إلى حضرة السيد المحترم إيفان فاسيليفتش ترايابيتشكين، سانت بطرسبورغ، شارع البريد، رقم البيت ٩٧، في الفناء، الطابق الثالث إلى اليمين».

إحدى النساء: أية عاقبة غير متوقعة.

حاكم المدينة: طعن فأصاب المقتل! فأنا الآن قتيل، قتيل تماماً! لا أرى شيئاً. أرى خطوماً خنزيرية بدلاً من الوجوه، ولا شيء آخر... أعيدوه، أعيدوه! (يلوّح بيده).

مأمور البريد: هيهات، أن يُعاد! أنا نفسي أوعزت للمشرف على المحطة خصيصاً بأن يعطيه أحسن الخيول. الشيطان وسوس لي فأعطيت توجيهات مماثلة على طول الطريق.

زوجة كوروبكين: ورطة، بالضبط، ورطة فريدة!

أمّوس فيدروفيتش: خسارة، يا سادة، تسلّف منّي ثلاثمئة روبل.

أرتيمي فيليبوفيتش: ومني أيضاً ثلاثمئة روبل.

مأمور البريد (يزفر): أوه! و مني أيضاً ثلاثمئة روبل.

بوبتشينسكي: ومنّي ومن بيتر إيفانوفيتش خمسة وستّين من النقد الورقي. نعم.

أمّوس فيدروفيتش: (يبسط يديه بحيرة). كيف هذا، يا سادة؟ كيف انجرفنا إلى هذا، حقيقة؟

حاكم المدينة (يضرب جبينه): وكيف أنا، الأبله العجوز؟ خرّفت، أنا التيس الأخرق! منذ ثلاثين سنة وأنا في الوظيفة، دون أن

يقدر تاجر أو مقاول على التغرير بي. كنت أخدع النصّابين وأساتذة النصّابين، وأُوقع بالمصيدة المخاتلين والمحتالين المستعدّين لسلب العالم كلّه. خدعت ثلاثة من حكّام الولايات!... وما أسهل ذلك! (يشمر ذراعه).. خداع حكام الولايات لا يستحقّ حتّى الإشارة...

آنا آندريفنا: ولكن هذا غير ممكن، يا عزيزي، أعلن خطبته على ابنتنا.

حاكم المدينة: (في غضب). أعلن خطبته! انقعي الخطبة واشربيها، فقد تنفعك! تخشّ في عيني بالخطبة!...(في غاية التهيّج). انظروا، انظروا، العالم كلّه، المسيحية كلّها، انظروا جميعاً، كيف استُهبل حاكم المدينة! اسموه الأهبل، الأهبل، الوغد العجوز! (يلوّح بقبضته مهدّداً نفسه). آه، يا ذا الأنف الضخم! مخطة، خرقة اعتبرتُها رجلاً مهمّاً. وهو الآن ينشر الخبر في الطريق كلّه! وينشر الحكاية في الدنيا كلّها. لا يكفي أن تصير أضحوكة... بل يطلع لك كُوَيْتب أرعن، محبّر ورق، ويضعك في تمثيلية هزلية. هذا هو الموجع! سيهزأ بالرتب والألقاب وسيضحك الجميع، ويصفقون، ممّ يضحكون؟ يضحكون من أنفسكم! آه، الويل لكم!... (يضرب الأرض بقدميه من شدّة الغيظ).. بودّي لو أشد جميع محبّري الورق هؤلاء والكويتبين الرعناء والليبراليين الملاعين أعوان الشياطين. بودّي لو أشدّكم في صرّة، وأطحنكم طحناً، وأحشركم في بطانة الشيطان، بل في قبعته! (يضرب الهواء بقبضته، ويدقّ الأرض بكعبه. وبعد قليل من الصمت). لكنّني لحدّ الآن لم أهدأ، صحيح. إذا أراد الله أن يعاقب أحداً انتزع منه عقله، قبل كلّ شيء. طيّب، أي شيء كان لذلك الأرهن بالمفتّش العامّ؟ لا شيء، حتّى ولا نصف خنصر. ولكن الجميع يهتفون فجأة: المفتّش العامّ! المفتّش العامّ طيّب، مَنْ أوّل مَنْ أشاع أنّه مفتش عامّ؟ أحب أن يتحمل التبعة.

أرتيمـي فيليبوفيتش (باسطاً ذراعيه): لا أستطيـع أبداً أن أوضح كيـف حصل ذلك. كغشـاوة غطّت على العيون فجـأة، أو وسوسة شيطان.

أمّوس فيدروفيتش: مَـنْ أشاع.... هذان الشاطران أشاعا (يشير إلى دوبتشينسكي وبوبتشينسكي).

بوبتشينسكي: والله، لستُ أنا، و لم يخطر ببالي....

دوبتشينسكي: أنا لم... أبداً لا...

أرتيمي فيليبوفيتش: طبعاً، أنتما.

لـوكا لوكيتش: طبيعـي، جئتما مـن الحانة كالمجانـين «وصل، وصل، ولا يدفع نقوداً....» وجدتما لقطة معتبرة!

حاكـم المدينة: بالطبع، أنتمـا! يا رؤوس الثرثـرة في المدينة، أيّها الكاذبان اللعينان!

أرتيمـي فيليبوفيتـش: يخطفكمـا الشيطـان بمفتشكمـا العـامّ وبحكاياتكما.

حاكم المدينة: لا همّ لكما سوى الجري في المدينة، وإثارة الجميع، أيّها المهذاران اللعينان! تبثّان الأكاذيب، أيّها العقعقان المبربران!

أمّوس فيدروفيتش: المذرّقان اللعينان!

لوكا لوكيتش: الطرطوران!

أرتيمي فيليبوفيتش: برغوثا البحر العفنان!

(الجميع يحيطون بهما).

بوبتشينسكي: لست أنا، والله، هذا بيتر إيفانوفيتش

دوبتشينسكي: لا، يا بيتر إيفانوفيتش أنت أوّل...

بوبتشينسكي: لا، أبداً، كنتَ أنت البادئ....

المشهد الختامي

(نفس الأشخاص مع جندرمة).

الجندرمـة: الموظّف الذي وصل مـن بطرسبورغ بأمر من القيصر يطلب حضوركم في الحال، إنّه نزل في الفندق.

(تنزل هذه الكلمات نزول الصاعقة على الجميع. صوت الدهشة يتدفـق من أفـواه السيدات، المجموعـة كلها تغـيّر أوضاعها فجأة، وتجمد متحجرة).

(حاكـم المدينة يقف في الوسط كالعمود، ذراعاه مبسوطان، ورأسه ملقى إلى الخلـف. وإلى يمينه زوجته وابنته بحركة اندفاعية نحوه في كلّ جسديهما. وإلى جانبهم مأمور البريد وقد تحوّل إلى علامة استفهام، موجهة إلى المتفرّجين، وإلى جانبـه لوكا لوكيتش مذهولاً بطريقة غايـة في السذاجة وإلى جانبه، عند حافـة خشبة المسرح تماماً ثـلاث نساء من المدعوات يلتصـق بعضهنّ ببعض، وقد ارتسم على وجوههن تعبير هجائي إلى أقصى حدّ موجّه مباشرة إلى عائلة حاكـم المدينة.. وإلى يسار حاكم المدينـة. المدينة زيملانيكا مميلاً رأسه قليلاً إلى جنـب، وكأنّما يتسمّع لشيء ما، وإلى جانبـه القاضي ملقياً ذراعيه إلى جانبيه، مدلّيـاً جذعه إلى الأرض تقريباً، يحرّك شفتيه، وكأنّما يريد أن يصفر أو يقول: «أردته عوناً فطلع فرعونـاً». وإلى جانبه كوروبكين موجّهاً إلى المتفرّجين عيناً متقلّصـة، وبإيماءة لاذعة إلى حاكم المدينة، وخلفـه، على حافة خشبة المسرح تمامـاً بوبتشينسكـي ودوبتشينسكي وذراعـا أحدهما متّجهتـان إلى ذراعي الآخـر، والفمان فاغـران وعينا أحدهما تبحلقان في عينـي الآخر والضيوف الآخـرون يظلّـون متحجّريـن فقـط، ولدقيقة ونصـف تقريباً تظـلّ الجماعة المتحجّرة على وضعها هذا، وتنزل الستارة).

****